

من وحي الأسماء وجلال الصفات

لغة الأسماء الحسنى : لا لغو .

قاله - لغة قلب ، ولغة عقل ، ولغة نفس ، ولغة حركة .

لغة قلب بالنوحيد

ولغة عقل بالتفكير

ولغة نفس بالرضى

ولغة حركة بالعمل وفقى الحركة بركة

وأسماء الله الحسنى :

فيها مع العقيدة نوحيد بحبيب - ونشيد يفن ، ويقيم بصفا

فيها العبادة بالذكر الدائم . وكلما كان الذكر دائماً كان الفيض

محققاً بعطاء المدد

بقول الحق سبحانه :

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَقْدِرَ

كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلٍ مَدَدًا﴾ (١١٩) [الكهف]

كما يقول الحق جل علاه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٢١) وسبحوه

بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٢٢) [الأنبياء]

أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

وهنا يطلب الحق الذكر بغير عدد ، لأن نعمة بغير عدد .

فقد أمرنا الله بالعبادة والافتقار إلى الله الذي لا يشاء

اقرأ قوله تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝١٦١﴾ [الأحزاب]

فيذكره - يخرج الإنسان من ظلام غياب قجره إلى ليل ابتسم
على نهار يستقبل ضحاها ، وتجلي مع العقل مرآة ، وهنا نعيش في
عصر التوحيد. تقرّيداً .

بقول الحق :

﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُمْ وَنَسَبْتُمْ وَمَخَيَّيْتُمْ وَمَسَّيْتُمْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۝١٦٣﴾ [الأنعام]

وبهذا نكون قد تحكّمنا في العصر بقيم الله قبل أن نتحكم الحياة
فبنا .

من هذا المنطلق عشنا خيرات الشيع الإمام الشعراوي في
مصاحبه لأسماء الله الحسنى .

فوجدنا فيها راحة للقلب

وراحة للروح

واسراحة للنفس

يقول الحق :

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَرَاءُ عَلَيْهِمُ أَمْثَلُ الْكُفَّةِ لَا يَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٢٤)﴾
[نفسه]

ودليل الإحساس بالله مشطق المفطرة في عالم القبر ، وعالم
الأمم ، وعالم الاختيار .
فالعالم المقهور بريحه .
والعالم المأمور بسبحه .
والعالم المختار يذكره .
يقول الحق :

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٦٦) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغُيُوبِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٦٧) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْحَبِيزُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٨٢) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨٥)﴾
[الحشر]

ولما كان القلب لا يستقر إلا بالله . وينور أسمائه الحسنى صفاتاً .
فلما مع الذي جحد لغاء ، ومع العبادة صفاء . ومن خلال الأسماء الحسنى

أسماء الله الحسنى

جمال الاختلاف ، لهذا نقدم أسماء الله الحسنى بفيض الإمام وخبرائهم .
عندما نكون في حالة السقوط مع الله ، حتى نحب ، نغم النشيد وجمال
القصد خير مقصود ، نقدمها في شيء من التكمال مستمدين من الله
عطاء الجمال ، حتى نتخلق بأخلاق الله من قيم صفاته وجلالاته على
أن يكون هذا مستمر العطاء ، فقد يخرج الكتاب في أجزاء لا تحدها
يعدد .

لأن مدد الله لا تنفد عطاياء .

وبين أيدينا الجيرة الأول من أسماء الله الحسنى بليه أجزائه بفرد
القش حاشه انتهى متحها الله لإمام العصر الداعي للحق بالخلق -
بارك الله في عمره ، ليكون مبدؤاً للأجيال الوافدة التي تنتظر المعارف
من سبغنا العاروب بالله .

أسماء الله الحسنى

في ظلال هذه الأبيات ومع إشراقها نعيش مع الأسماء الحسنى
«الصفات العالمة» فسر طه الوكيل الله. مصداقاً لقول الله
تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ ۝ (١٥٨)﴾ [الاعراف]

فإن حب العبد لذات الله يجعله يعيش في عطاء صفاته، فمن أحب
الذات وقبب له لفتحات العناب.

وهذه الأسماء الحسنى هي الكمال كله، والجلال كله، وبها
الذكر، وفي ذكرها عطاء للذكر، يقول الله تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ۝ (١٥٩)﴾ [البقرة]

ويقول سبحانه:

﴿... وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝ (٩١)﴾ [آل عمران]

وقال أيضاً جل وعلا:

﴿إِنَّ الْمَصَلَةَ نَهْيٌ عَنِ الْعُجْبَاءِ وَالْمُتَكَبِّرِينَ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۖ ۝ (١٤١)﴾

[التكوير]

هذه خصوصية من الفرق أن المتكبرين نسب لنا كمال الذات وجلال
الصفات لنحيا في حلال الإيمان السحر والإخلاص التقوى، فقلنا ورد
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين
اسماً، مائة غير واحد، من أحصاها دخل الجنة»

أسماء الله الحسنى

ولقد أمرنا الخلق جلّ علاه أن يؤمن بها ذاتاً وصفاتاً ، وأن تعبده طاعة واجتنباً لمعاصيه ، فهو العالم بالسر وأخفى ، وفي أسمائه أسرار ، وفي صفاته مآد ، يكشفه الله لمن يعامل مع صفاته وأسمائه .

فمن عبده ورحمته أن أمرنا بما نستطيع ، وإن كنا لم نره ، ولكن بالإدراك في خلقه ، والانفعال بقدرته يجعلنا نتبين وجوده ، قنوه حده ونفكره وننجزه له ، ففي آياته الكونية والنفسية ما يدل دلالة على عطاء الصفات في حركة النظام الكوني وحركة الحياة نحو الحياة .

وإن كنا لم نره جهرة فإنه قد كشف لنا عن صفاته من خلال أسمائه الحسنى حتى تكون العبادة بحبه وشعور بفضل .

فهو : أحضر الأسماء الحسنى مع هذه المعانيها ، والتخلق بأخلاقها فجعل الإنسان المؤمن يعنى في الدنيا برضاه ، وفي الآخرة الجنة ونزاه . وهذه هي الأسماء الحسنى :

الله : هو الاسم الدال على الذات الجامعة لصفات الألوهية .

الرحمن : واسع الرحمة في خلقه ، مؤمنهم وكافرهم ، في معانيهم ومعادهم .

الرحيم : المعطى من الثواب أضعاف العمل .

المليك : المتصرف في ملكه كما يشاء .

القدوس : المنزه عن كل وصف يدركه حس أو خيال .

السلام : السالم من العيوب والنقائص ، الباهر سلامته على خلقه .

المؤمن : المصدق نفسه وكتبه ورسله فيما ينزلونه عنه .

المهيمن : الميطر على كل شيء بكلمات قدرته .
 العزيز : الغالب الذي لا نظير له .
 الجبار : المتشدد مشيئته على ميل الإحتياز والجبر .
 المتكبر : المتشدد بصفات العظمة والكبرياء ، المتكبر عن المنه .
 والحاجة .

الخالق : المبدع خلقه وإرادته .
 المصور : المميز خلقه بالصور المختلفة .
 المصور : الذي أعطى لكل خلق صورة خاصة .
 الخفيا : الذي يستتر القبيح في الدنيا ويتجاوز عنه في الآخرة .
 القهار : الذي يقهر الجبابرة .
 الرحيم : الذي لا ينفك عن خلقه .

الرزاق : خالق الأرزاق ، المتكفل بإيصالها إلى خلقه .
 الفتاح : الذي يفتح خزائن رحمته لعباده .
 العليم : المحيط علمه بكل شيء .
 القابض : قابض يده عن من يشاء من عباده حسب إرادته .
 الباسط : باسط يده على من يشاء .
 الخافض : الذي يخفض الكفار والأشقياء .

الرافع : للأنداد بين أولياء الرجال ،
 المعززة : للمؤمنين بطاعته .
 العدل : للكاترين بعصبياتهم .
 السميع : الذي لا يغيب عنه شيء .

- البصير : الذي يشاهد جميع الموجودات .
 الحكيم : الذي له تدبير جميع الأمور . الأحكام
 العدل : الذي ليس في ملكه خلل .
 اللطيف : البر بعباده .
 الخفي : العالم بكل شيء : ظاهر وباطن .
 الخليم : الذي لا يعجز بالانتقام .
 العظيم : الذي لا يصل العنود إلى كنهه ذاته .
 الغفور : غافر الذنب وقابل التوب .
 الشكور : المنعم على عباده بالثواب .
 العلي : الذي غلا بلباته وصفاته عن مدارج الخلق .
 الكبير : المنزه عن الأوهام .
 الحفيظ : حافظ الكون من الخلل .
 المقبض : خالق الأقوات ومقسمها .
 الحسيب : الذي يكفي عباده حاجتهم .
 الجليل : عظيم القدر بجلاله وكماله .
 الكريم : عطاءه لا ينفد .
 الرفيع : الملاحظ لما يراه .
 المعجب : الذي يجيب الداعي إذا دعاه .
 الواسع : الذي وسع كرمه السموات والأرض .
 الحكيم : المنزه عن فعل ما لا ينبغي بجلاله وكماله .

- الودود : المتحبيب إلى خلقه .
المحمد : الشرف في ذاته وأفعاله . الجزيل : عطاؤه ونعمه .
الباعث : باعث الموتى للحساب .
الشهيد : العالم بالأمور الظاهرة والباطنة .
الحق : خالق كل شيء ، بحكمة .
الوكيل : الموكل إليه الأمور والمصالح .
القوي : الذي لا يعجزه شيء .
المتين : الذي لا يغلب .
الولي : المخيب لأوليائه ، الناصر لهم ، والموالي لهم .
الحميد : المستحق للحمدة والثناء .
المحصي : الذي لا يلوته نقيص الأمور ، ولا يعجزه دليلها .
المبدئ : الذي بدأ الخلق ، وأوجده من العدم .
المعيد : الذي يعيد الخلق إلى الموت .
المحيي : الذي يحيي العظام وهي رميم .
المميت : الذي يميت الأجسام ينزع الأرواح منها .
الحى : المتصن بالحيوة الأبدية .
القيوم : القائم على كل شيء .
الواجد : الذي يجد كل ما يطلبه ، ويريد .
المواجد : كبر الإحسان والافضال .
الواحد : المنفرد ذاتاً وصفاً وأفعالاً .

الضمد: المقصود بالحوادث .

الأنوار: الأنوار، الأضواء، المرحمة .

المقتدر: الذي يقدر على ما يشاء .

المقدم: مقدم الأنبياء والأولياء ومن يشاء .

المؤخر: مؤخر الأعداء بالإبعاد .

الأول: السافة، للأشياء .

الآخر: الباقي بعد فناء خلقه .

الظاهر: بآياته وإعلاماته فقدرته .

الباطن: المحتجب عن الأنظار، المطلع على الأسرار .

الوهاب: المالك للأسماء، والمنصرف فيهما كيف يشاء، والمنعم

بالعطاء، والذافع للبلاء .

المتعال: رفيع الدرجات ذو العرش، المرتفع في كبريائه وعظمته .

الجبر: الذي يرضى على السائلين يحسن العطاء .

النواب: يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات .

المنتقم: الذي نخسني تقصته لقمانه وعظمته، وهو الذي ترجو منه

الرحمة، موقفاً وطمعاً .

العفو: الذي يمحى الذنوب ويتجاوز عن السيئات .

الرزوف: شديد الرحمة بعباده .

مالك الملك: له التصرف المطلق ومالك الملك الذي ينفذ مشيئته في

ملكه كيف يشاء، وكما يشاء، لا عرد لقضائه، ولا معقب لحكمه .

ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ : الَّذِي لَا جَلَالَ وَلَا كِمَالَ وَلَا شَرَفَ إِلَّا هُوَ لَهُ ، فَلِجَلَالِ قُوِّ ذَاتِهِ ، وَالْكَرَامَةِ عِلْمِ خَلْقِهِ ،

الْمُقَسَّطَةِ : الْقَانِمِ بِالْقِسْطِ وَالْمُعْجِمِ لِلْعَدْلِ .

الْجَامِعُ : الَّذِي جَمَعَ الْكَمَالَاتِ كُلَّهَا ذَاتًا وَوَصْفًا ، وَفِعْلًا .

الْعَنَى : الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ ، فِي ذَاتِهِ ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ ، وَلَا فِي أَعْمَالِهِ .

الْمُعْطَى : الْمُنْ بَشَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ .

الْمَنَاعُ : الَّذِي يَمْنَعُ الْبِلَاءَ حَقْقًا وَعِنَايَةً ، وَيَمْنَعُ الْعِطَاءَ عَمَحًا بِشَاءٍ اِئْتِلَاءً أَوْ حِمَايَةً .

الضَّارُ : بِصِيبٍ مِّنْ بَشَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ ، فَهُوَ مَالِكُ الضَّرِّ .

النَّافِعُ : هُوَ مَالِكُ النِّفْعِ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،

النُّورُ : الَّذِي نُورُ قُلُوبِ الْمُصَادِقِينَ بِشَوْحِينِهِ .

الْهَادِي : الَّذِي أُعْطِيَ كُلُّ شَيْءٍ ، خَلَقَهُ نِيَمُ مَدْنِي .

الْبَدِيعُ : الْخَالِقُ الْبَدِيعُ فِي ذَاتِهِ .

الْبَاقِي : الدَّائِمُ الوجودُ الْمُوَحَّدُ بِالْبَقَاءِ ، بَقَاءُ الْإِبْدِ وَالْآزَلِ .

الْوَارِثُ : تَبَّحُّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَوَارِثُهُ وَرَازِقُهُ وَوَارِثُهُ .

الرَّشِيدُ : الْمُرْشِدُ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ .

التَّصَبُّورُ : الَّذِي يُشْفَى وَيُمْتَلِئُ وَيَشْفَرُ وَلَا يَحْجِلُ ، وَلَا يَعْجَلُ

وَلَا يَسَارِعُ ، عَلَيْهِ الْفِعْلُ قَبْلَ أَوَانِهِ ، وَيَنْزِلُ الْأَمْرُ بِقَدْرِ مَعْلُومٍ .

أسماء الله الحسنى

عن أبي هريرة رضى الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ قال : «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة» .

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذى أن النبي ﷺ قال : «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة» . وهو يشبه بحب الوتر» .

هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن . . الرحيم . . المثلث . .
 الغفور . . السلام . . المؤمن . . المهيمن . . العزيز . . الجبار . .
 المتكبر . . الخالق . . الباري . . المصور . . الغفار . . القهار . .
 الوهاب . . الرزاق . . الفتاح . . العليم . . القابض . . الباسط . .
 الخافض . . الرافع . . المعز . . المذل . . السميع . . البصير . . الحكيم . .
 العدل . . الطليمع . . الجبير . . الخليم . . العليم . . الغفور . .
 الشكور . . العلي . . الكبير . . الحفيظ . . المغيث . . الحسيب . .
 الجليل . . الكريم . . الرقيب . . المجيب . . الواسع . . الحكيم . .
 الوود . . المجيد . . الباعث . . الشهيد . . الحق . . الوكيل . .
 الضوئ . . المنين . . الولي . . الحميد . . المحصي . . المبدئ . .
 المعيد . . المحيي . . المميت . . الحى . . القيوم . . الواجد . . الماجد . .
 الواحد . . الصمد . . القادر . . المقتدر . . المقبض . . المدهي . .
 الأول . . الآخر . . الظاهر . . الباطن . . الوالى . . المتعال . . القريب . .
 الشواب . . المنتقم . . العفو . . الرؤف . . مالك الملك . . ذو الجلال
 والإكرام . . ذا ما لا يحصى . . الذى لا ينضب . . الخالق
 الضار . . النافع . . النور . . البهائم . . البديع . . الباقي . . الوارث . .
 الرقيب . . العليم . .

دُعَاءُ

كَمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ

ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا فُطْرُهُمْ

وَلَا حَرْبٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِنِّي عَبْدُكَ

وإِنِّي أَسْأَلُكَ، نَاصِبِي بِسُوءِكَ، مَاضِي قِيَّ

حُكْمِكَ، عَدْلُ قِيَّ قَضَائِكَ... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ،

سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ،

أَوْ أَسْأَلُكَ بِهِ، فِي عِلْمِ الْغَيْبِ مِنْكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِيعَ

فُلْجِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَحِلَالَ حِزْنِي، وَذَهَابَ غَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ

حِزْنَكَ وَغَمِّي، وَأَبْدَلَ مَكَامِي قُرْحًا».

كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَخْلَقَ
عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ اسماً بَدَلَ عَلَيْهِ . . بِحَيْثُ إِذَا أُدْلِقَ الْاسْمُ نَبَّذَ إِلَى
التَّعْيِينِ صُورَةَ الْمُسَمَّى .

فَمَجِبْنِ أَقُولُ لَكَ : شَمْسٌ . . بَرَدٌ إِلَى ذَهَبِكَ صُورَةُ الْفَرَسِ الَّذِي
بِشُرْقِ كُلِّ صَبَاحٍ لِبَعْلَاءِ الْأَرْضِ نُوراً وَرَدَفْنَا . . وَهَكَذَا . . السَّمَاءُ . .
الْأَرْضُ . . الْخُنَالُ . . الْكَأْكَبُ . . النُّجُومُ . . الشَّجَرُ . .

كُلُّهَا أَسْمَاءٌ تَدُلُّ عَلَى مُسَمًّى بِعَيْنِهِ .

وَقَدْ عَلَّمَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا . .

يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي
بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢١)

[الأنعام]

وَكَلِمَةٌ ﴿كُلُّهَا﴾ تَفِيدُ الْإِحَاطَةَ وَالشَّمُولَ

وَهَا سَوَالٌ يَقْرَحُ نَفْسَهُ . هَلْ عَلَّمَ آدَمَ أَسْمَاءَ اللهِ الْحُسْنَى مِنْ بَيْنِ
مَا عَلَّمَهُ اللهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ ؟

إِنَّ الْأَلْفَبَ مَا فَضَحَتْ بِمَصْرِيحَةٍ فِي أَنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ عَلَّمَ آدَمَ
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا . . وَلَا تَنْكَرُ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ الْحُسْنَى مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ .
بِاسْتِثْنَاءِ ذَلِكَ الَّتِي اسْتَأْذَنَ بِهَا - سُبْحَانَهُ - هِيَ عِلْمُ الْعَجَبِ مُنْذَرَةً كَمَا يُجِيزُ
الْخُلُوبُثُ الشَّرِيفُ .

لكن ما المقصود بأسماء الله الحسنى؟

لكي نحدد المقصود بالأسماء الحسنى للحق عز وجل يجب أن نعرف ما هو الاسم أولاً؟

الاسم: نوع من أنواع العلم . . والعلم في اللغة هو اسم يعبر عن مسماه - كما ذكرنا - بحيث إذا ذكر الاسم وردت صورة المسمى في الذهن .

وينقسم العلم إلى ثلاثة أقسام : «اسم ، ولقب ، وكنية» .

والاسم : هو ما يوضع على المسمى أول وضع بحيث إذا ذكر الاسم وردت صورة المسمى في الذهن .

هبة أنك أغت امتاء ، أطلقت عليه اسم (أحمد) مثلاً ، فهذا اسم له ؛ لأنك قد وضعته عليه أول وضع .

أما اللقب : فهو ما أشعر بوقعة أو بضعة وكان وضعاً ثانياً ، فإبتكرك الذي أنجبتة واسمته أحمد قد شعر مع الأيام أنه ينصف بالغباء فنطلق عليه لفظ (الجهول) أو (جهلان) .

ونظراً لأن هذا اللفظ يشعر بالضعة وقلة الشأن ، وقد وضع على المسمى وضعاً ثانياً ، فهو لقب وليس اسماً ، وعبارة «وضع ثانياً» تعني أن هذا اللفظ له اسم يوضع له أول وضع ، ثم أطلق عليه اللقب ، وهذا يعني أنك إذا أطلقت عليه «جهول أو جهلان» أول وضع لأصبح اسماً له وليس لقباً رغم ما قبله من إشعار بالضعة ، وهو ما ينطبق على اللقب لا الاسم .

والكنية: هي ما عُدَّ باب أو أم أو أخ أو أخت وكانت وضعاً
ثانياً . فابنك الذي سميت أحمد حينما يكبر وينجب ابناً يسميه «بكر»
فبنابه الثامن (أبا بكر) فإلى هذه نصيغ كنية له . فكل ما صُلِّقَ باب
أو أم أو أخ أو أخت يسمى كنية بشرط أن يوضع على المسمى وضعاً
ثانياً . فلو أطلقنا على مولود (أبا بكر) فإن أبا بكر يصبح اسماً له
لا كنية؛ لأنه أطلق عليه وضعاً أولاً . لا ثانياً .

فشرط اللقب أو الكنية أن يوضع على المسمى وضعاً ثانياً، فإذا
وُضِعَ له وضعاً أولاً كان اسماً للمسمى .

نوضح ما سبق بأثلة . . رسول الله ﷺ اسمه (محمد) . . وكنيته
(أبو القاسم) ، ولقبه (رسول الله) .

العارف عمر . . اسمه (عمر) وكنيته (أبو حفص) ، ولقبه
(العارف) .

ونرجع إلى أسماء الله الحسنى . . فهل هي الألقاب للحق عز
وجل؟ . . بالطبع ليست الألقاب؛ لأن جميع أسماء الله عز وجل نال
على الرتبة وليس ثيها ما بعد على النعمة . لأننا نرى سبحانه عز
تزبها مطلقاً لا حدود له . كذلك لا يجوز أن يكون الحق عز وجل
كنية؛ لأنه سبحانه وتعالى واحد أحد فرد صمد ، وليس بأب أو ابن
أو أخ لأحد ، فهو سبحانه لم يلد ولم يولد .

أذن: فالأسماء الحسنى للحة . عز وجل هي تلك الأسماء التي
وضعها للدلالة على ذاته ، وهذه الدلالة تنقسم إلى قسمين: دلالة
علمية ، ودلالة وصفية .

والدلالة العلية تطلق على ذات الحق سبحانه وتعالى . وهي لفظ الجلالة (الله) .

فالله - إذن - علم على واجب الوجود ، أما سائر الأسماء الحسنى كالرحمن - مثلاً - فهي في الأصل للوصف . فتحت تطلق عليها أسماء ، وإن كانت هي في حقيقتها أوصافاً تدل على بلوغ القصة في الوصف .

هذه الأسماء بما تحمله من صفات تحمل القيم الإلهية التي تنجع في مسيرتها نحو منهج الجادة في إطار واحد ، لتعادل عوازين الحياة .

فيأذا قلنا « الله » وهو لفظ الجلالة المصور اسماً أو لقباً أو كنية ، والمصورون جلالاً وكمالاً . فالأمر له . والنبى منه ، والأمير والتميم يتحركان من خلال أسماء الله الحسنى .

الله المملك هو المالك لكل شىء ، والمصرفه على كل شىء ، والقباض على كل شىء ، والمدهر لكل أمر .

هذه التضمينات تحتاج إلى ذات الله مع صفاته ، فالمملك يحتاج إلى تدبير ، ولا يدبر إلا ملئ ، ولا ملئ سوى مالك المملك ، والملكية تحتاج إلى تدبير . والتدبير أمره ، وأمره يحتاج إلى قوة فتفعله ، والقوة في ذاته سبحانه .

والله هو التقبوم على ملئ ، لأنه الشأن على كل شىء بحسب احتياج التقبى ، فهناك فضبة تحتاج إلى الرحمة ، فتتحرك صفة الرحمة .

فَرُوحٌ حَسَنِي وَسَمِعْتُ كُلَّ شَيْءٍ . . . (١٦٥) [الأعراف]
 وصاتك تنسبه فمناج إلى حمدك ، لعمرو العادل ،
 وقد نحتاج القضية لانضمام ، فهو المستقيم ،
 وقد نحتاج إلى التسامح والمغفرة : فهو غافر الذنب وقابل التوب
 وغفور وغفار .
 وهكذا في جميع أسماء الله الحسنى .

والملاحظ أن كل حركة في الكوثر - وإن قطعت - تنجلي فيها أسماء
 الله الحسنى ، فالجرك نحتاج إلى تدبير ، والتدبير تدبيره : ونحتاج إلى
 قوة ، وهو القوى المتين ، ونحتاج إلى بداية فهو المبدئ ، ونحتاج إلى
 نهاية وهو المعيد .

بدليل أنك قد تقوم ، لا تفعد ، وقد تفعد ولا تقوم ، وقد تنظن
 ولا تفهم نظماً ، وقد تلبس ثوبك في الصباح ولا تدري هل نخلعه بيدك
 أم نخلعه من عليك يد الغاسل ، فالأمر له سبحانه .

وإذا تأملنا دعاء النبي عليه الصلاة والسلام : « اللهم إني أسألك
 بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته
 أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عنك أن تجعل القرآن
 العظيم ربيعاً قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي » .

لنجد أن الحق سبحانه وتعالى قد أورد بعض أسمائه الحسنى في
 كتابه ، وبعضها على لسان نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

الأسماء والمسميات

واستأثر ببعضها في علم الغيب عنده ، واختص ببعضها بعضاً من خلقه .

وحصر الأسماء في تسعة وتسعين اسماً لا ينشئ ما عداها من الزيادة عليها ، ولكن التخصيص بالذكر لهذه الأسماء التسعة والتسعين كان لأنها أشهر الأسماء وأظهرها من حيث المعاني .

[ذئ : فالأسماء الحسنى لله عز وجل هي تلك الأسماء التي ونسبها لمن سبحانه ، رده إلى الالة العلى ذلك .] **سورة فاتح التي أنزلها في كتابه أو على لسان نبيه أو استأثر بها في علم الغيب عنده أو خلقها بعضاً من خلقه .**

ولكننا نبادر فنقول : إن ما نبحث عنه هنا هو تلك الأسماء التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة دون النظر إلى ما قد يكون هنالك من أسماء لله عز وجل يعلمها رسول الله ﷺ وحده دون غيره من البشر عامة والأعياء خاصة .

ففقد ورد في صحيح البخاري عن أنس أن النبي ﷺ قال : « يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كمثل ذلك ، فيقولون : لو استقمعنا إلى ربنا حتى يربحننا من مكاننا هذا ؟ فيأثرون أم لا فيقولون : يا آدم أما ترى أناس ، خلقت الله بيده وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماهم كل شيء ، أشفع لنا إلى ربنا حتى يربحننا من مكاننا هذا ، فيقول : لست هناك ، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب . ولكن اتوا ثوفاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأثون ثوفاً فيقول : لست هناك ، ويذكر خطيئته التي أصاب ، ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن ، فيأثونه إبراهيم فيقول : لست هناك ، ويذكر لهم خطاياهم التي أصابها ، ولكن اتوا موسى ،

عبداً أتاه الله النوراة وكلمه تكليماً، فيأتون موسى فيقولون: لست
هناكم ، يذكر لهم خطيئته التي أصاب ، ولكن الله اعلم ، عبد الله
ووعده وكلمته وروحه ، فيأتون عيسى فيقولون: لست هناكم ، ولكن
أتوا مصحفاً ﷺ عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتون
فإنطلق فلأسألك على ربي فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيت ربي وفعت له
ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال له : ارفع محمد ،
وقل نسمع ومن نعطه ونشفع ونشفع ، فأحمد ربي بحمده علمه بها ، ثم
أشفع فيحمد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع ، فإذا رأيت ربي وفعت
ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال لي : ارفع محمد ، قل
نسمع ، ومن نعطه ، ونشفع ونشفع ، فأحمد ربي بحمده علمه بها ،
ثم أضع يدي على ساد ، فأودعهم الجنة ، ثم أرجع ، فإذا رأيت ربي
فما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود ، قال النبي
ﷺ : يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما
يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من
الخير ما يزن مرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في
قلبه ما يزن من الخير ذرة .

أَسْمَاءُ لَهَا مَقَابِلُ وَأَسْمَاءُ بِلَا مَقَابِلٍ

من هذا الحديث الشريف نعلم يقيناً أنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى قد اختصَّ رسوله عليه أفضل الصلوة وأتم التعلیم بتعليمه محامد لم يُعلمها أحداً غيره من البشر من قبهم سائر الأنبياء.

فماذا يمنع من أن يكون من بين هذه المحامد تلك الأسماء الحسنى التي استأثر بها الحق عز وجل في علم الغيب عنده؟

أسماء لها مقابل وأسماء بلا مقابل

هناك أسماء للحق سبحانه وتعالى لها مقابل مثل: المعز ، المذل ، ،
التأخر ، المتأخر ، المتعبد ، الرافع ، الخافض ، ، المعدم ،
المؤخر ، ، الضار ، النافع ، المحيي ، المميت .

والأسماء التي يكون لها مقابل هي تلك التي يكون فعلها في
مخلوقاته ، فالحق سبحانه وتعالى يعز من خلقه من يشاء ويذل من
يشاء . ويرفع من يشاء ويخفض من يشاء ، وهو الذي يحيى ويميت
مخلوقاته وفقاً للأجال التي حددتها لهم .

أما الأسماء التي تحمل أوصافاً ذاتية لله عز وجل فتبقى لا تقبل
العكس ، . كأن تقول : العزيز . . فهذه صفة للذات الإلهية العلية
وإذا قلنا لا تزي إلا الله عز وجل ، فإنه من صفاته عز وجل العزيز ، بينما
ليس من صفاته الذليل . وأن من صفاته الخي ، بينما ليس من صفاته
الميت ، وهكذا في سائر الصفات .

وكما قلنا من قبل : إن أسماء الله الحسنى وإن كنا نطلق عليها
أسماء ، إلا أنها أوه أف . . . أو بفتح القاف في الرفع . فكل اسم
من أسماء الحق عز وجل يمثل صفة من صفاته .

فأرحم - مثلاً - اسم من أسماء الله يبرز صفة الرحمة لديه .
والغنى اسم من أسمائه يوضح غناه عن سواه في كافة شئونه . وقد
شترك المخلوق مع الخالق في - من - كما تقول : إن مدناً
غنى ، أما إذا وردت الصفة على إطلاقها كأن نقول : (الحق) فيلسا
لا تعلق إلا على الحق عز وجل .

أَسْمَاءُ لَهَا مَقَابِلٌ وَأَسْمَاءُ بِلَا مَقَابِلٍ

وَيُطَبَّقُ ذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ عدا لَفْظِ الْجَلَالَةِ (الله) ؛ لأنه ليس
مرفوعاً من صفاته ، الله - ليس مشتقاً من فعلٍ معين ، وإلاّ هذه عَلَمٌ عامرٌ
واحِبُ الوجود ، أي : عَلَمٌ عَلَى الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي
وَصَفَّ بِهَا نَفْسَهُ ، فَهُوَ يَحْوِي جَمِيعَ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْوَاجِبَةِ لِلْحَقِّ عِزٌّ
وَجَلٌّ .

مُتَالِفَةٌ - إِنْ - أَنْ يَكُنْ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى بِمِثْلِ صِفَةٍ مِنْ
صِفَاتِهِ عدا لَفْظِ الْجَلَالَةِ . فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ لَا يَمُتُّ بِصِفَةٍ بَعْضُهَا ، إِلَّا أَنَّهُ
يَحْوِي جَمِيعَ الصِّفَاتِ الْأُخْرَى . . فَحِينَ نَقُولُ : يَا اللَّهُ . . فَأَنْتَ تَدْعُوهُ
بِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْوَاجِبَةِ لِدَاثِهِ عِزٌّ وَجَلٌّ ، وَالَّتِي وَصَفَّ بِهَا
نَفْسَهُ .

وَاللَّهُ هُوَ أَشْبَهُ أَسْمَاءِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَأَعْلَاهَا مُحِطًا عَلَى
الذِّكْرِ وَالِدَعَاءِ ، وَقَدْ صَارَ شِعَارَ الْإِيمَانِ وَإِمَامَ سَائِرِ الْأَسْمَاءِ .

وَهُوَ اسْمٌ مُنْعِي لَمْ يَنْسَمَّ بِهِ أَحَدٌ ، وَقَدْ فُطِنَ اللَّهُ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ ، فَلَمْ
يُطَبَّقْ عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ . . وَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِشَوْكٍ :

﴿ هَلْ نَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٢٠) .

وَأَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى لَا تَدْخُلُ تَحْتَ حَصَرٍ ، فَهِيَ لَيْسَتْ بِمُتَعَدِّةٍ
وَتَسْعِينَ اسْمًا نَقَطَ - كَمَا يُظُنُّ الْبَعْضُ - بِدَلِيلِ أَنَّ هُنَاكَ أَسْمَاءَ فَدِ
أَسْمَاءٍ بِهَا الْحَقُّ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ ، لَا يَعْلَمُهَا مَلَكَ «شَرِبَ» وَلَا نَبِيٌّ
مُرْسَلٌ ، وَآخِرُنِي قَدْ احْتَصَرَ بِهَا بَعْضًا مِنْ خَلْفِهِ .

[غير معلومة العدد]

وقد جاء في الحديث الصحيح : « أسألك بكل اسم هو لك »
 سمى الله به ما أوامره أو نواهيه ، أو أفعاله ، أو أفعاله في كتابك ، أو
 استأثرت به في علم الغيب عندك » .

الأسماء الحسنى ثلاثة أقسام :

قسم مسمى به الحق سبحانه نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته
 أو محبوبيه ، ولم ينزل به في كتابه .

وقسم أنزل به في كتابه فعرقه عباده .

وقسم استأثره في علم الغيب ، فلم يطلع عليه أحد من خلقه .

وليس المراد تفريده بالنسبة به ، لأن هذا الانفراد ثابت في
 الأسماء التي أنزل بها كتابه في إسرقات الأسرار للعبد المختار .

ومن قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة « فيفتح عليّ من محامده
 بما لا أحسنه إلا » .

وذلك للمحامد التي بأسمائه وصفاته ، ومنه قول النبي ﷺ « إن الله
 نسعة وتسعين اسماً ، من أحصاها دخل الجنة » فالكلام جملة واحدة ،
 وقوله « من أحصاها دخل الجنة » صفة لا خبر ، والمعنى له أسماء
 متعددة .

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى غَيْرُ مَعْلُومَةِ الْعَدَدِ

وهذا لا ينبغي أن يكون له أسماء غير ما كما تقول : لفلان مائة فرس قد أعدها للجهاد ، فلا ينبغي أن يكون له أكثر من سبعمائة فرس للجهاد ، إذ إن هنالك في أسماء الله الحسنى أعدادات وإسرافات وأسراراً تنفوح عطرآ من ثنابا المعدادات من الأسماء ، ونعطي سرّاً من المعلومات من الصفات التي استأثر بها الحق عز وجل في علم الغيب عنده .

• نتعلم ذلك في كمال التأمل ، ونقدم النعمة ، والرخاء بالإسلام ديناً ، فنجتاح محمد ﷺ في تطبيق المنهج كاملاً كالليل واضح أن الله اختصه بأسرار نؤمنه في مسيرة الدعوة ومسيرها ، وقد تكون هذه الأسرار هي من أسرار أسماء الله الحسنى .

وهنا نزايد السؤال . . هل الاسماء الحسنى لله عز وجل فى مجموعها - اثنى ، نعلمها ، لا نعلمها - محصورة بعدد معين . . أم هى لا نهائية ؟

لقد قيل الكثير فى هذا الموضوع ، ولكن الصواب أنها مسألة فى علم الله عز وجل وحده . . والسبب فى ذلك هو أن الاسماء التى اخنص الله بها بعضاً من عباده ، والاسماء التى امتانز بها فى علم الغيب عنده . . لا نعلم إذا كانت محصورة أم لا نهائية . . وإذا كانت محصورة بعدد معين فنحن لا نعلم عددها .

فالشأءة إذن أن أسماء الله الحسنى أكثر من سبعة وتسعين اسماً ، أما كونها محصورة بعدد معين معلوم أو مجهول أو لا نهائية . . فالعلم عند الله وحده ، نؤمن علمه تعالى أن يحيط به سواه .

بقول الحق جل و علا :

﴿وَأَمَّا رَبٌّ لَا تُرَاوِدُ الْأَفْئِدَةَ لَغَضٍّ أَمْ تَلْتَمِذًا أُنْعِمْتَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ قَتْلَانُهُمْ﴾

[الغفر:]

على العالمين (١٧٦) ﴿﴾

﴿وَلْيَبْلُوكُمْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ

[البقرة:]

وَالضَّرَبِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (٢٥٠) ﴿﴾

[الأنفال:]

﴿وَيُذَكِّرُونَ وَيُذَكِّرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُذَكِّرِينَ (٢٠٠) ﴿﴾

﴿فَيُفْضِلُ اللَّهُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْجُدِي مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[إبراهيم:]

(١٠٠) ﴿﴾

والملاحظ أن الآيات السابقة قد احتوت على أفعال للحق عز

وجل : «أنعمت» ، و«يبلوكم» ، و«يذكر الله» ، و«يفضل من يشاء» .

ومن المعلوم أنه يصح لقوية استيقاف أسماء من الأفعال فتقول : إن

«منعم» اسم سبقت من أنعم ، و«مبلى» من ابلى ، و«ماكر» من مكر ،

و«مفضل» من أضل .

هذا من حيث اللغة . أما فيما يتعلق بأسماء الله الحسنى ، فالقاعدة

أنه لا يجوز أن نشق من أفعال الله عز وجل أسماء له . وبذلك لا يكون

من أسمائه عز وجل «المنعم» أو «المبلى» أو «المماكر» استيفاقاً من

أفعال الحق تبارك وتعالى .

لا يهبوز اشتقاق أسماء من أفعال الحق عز وجل

والسبب في ذلك هو أن هذه الأفعال لا تعطى بذاتها ، وهي منفصلة
عن الجمل التي وردت فيها أو صافاً لله عز وجل ، فيصح أن نُطلق عليه
على وجه التعظيم والشمول .

ففي الآية الأولى نجد أن إنعام الله عز وجل كان على بني إسرائيل ،
كما أن إنعام الله عز وجل يكون من نصيب أوليائه الصالحين
الطائعين . . فهو تبارك وتعالى يوزن الجميع ، ولكنه بنعم على
خاصته .

وكذلك لا يصح أن يكون المبتلى من أسمائه عز وجل ؛ لأن هذا
الوصف لا يمكن تحمله بعد قيام الساعة ، فالاختبار والابتلاء محله
الدنيا ، وينتهي بنهاية الحياة على الأرض ، وبذلك لا يكون المبتلى
رأساً مادام في أرحامه الله عز وجل ، وإن كان فعلاً من أفعاله في
وقت من الأوقات .

وأيضاً الماكر فعل من أفعال الله ، ولكنه في مواجهة الماكرين من
عباده .

والإله لا يكره لمن أسكنه على نفسه ، ولا مبيد لعوبته
ورجوعه ، فيضله الله عز وجل بأن يتركه على ضلاله حتى يحق عليه
جزاء قتله .

ومثل ذلك قولنا : (شديد العقاب - قابل التوب - غافر الذنب) هو
أو صاف لله عز وجل ، ولكن لا يصح أن نستنتج منها أسماء لله عز وجل
فنفصل : إن من أسمائه عز وجل (الشديد أو الغافل أو العافر) ،
وذلك لنفس العلة التي ذكرناها في عدم جواز الاشتقاق من الأفعال .

صفات أولية .. وصفات مطلقة

من صفات الحق عز وجل أنه أزلي ، أي : ليس له بداية ، لأن الله سبحانه الأول قبل كل شيء ، والباقي بعد فناء كل شيء ، بلا نهاية .

كل مخلوق من مخلوقاته له تاريخ ميلاد ، وتاريخ ميلاده هو تلك اللحظة التي أوجده الله فيها ؛ ولأن الله سبحانه وتعالى ليس له بداية فإنه عز وجل ليس له خالق ؛ لأنه لم يسبقه أحد في الوجود حتى يكون خالقاً له .

وصفات الحق عز وجل التي وصف بها نفسه هي صفات أولية . أي : قديمة قدم الله عز وجل ، والسبب في ذلك هو أن هذه الصفات تصنف بالذات الإلهية . والذات الإلهية قديمة . أي : ليس لها بداية .

إن من صفات الحق عز وجل أنه خالق . فإن هذه الصفة قديمة له وليس لها بداية . فهو خالق قبل أن يخلق مخلوقاته ، ولو لم تكن هذه الصفة أولية له لما استطاع أن يخلق الخلق .

وصفات الله عز وجل مطلقة في ذاته ومسيبة في خلقه . فحين أقول لك : إن فلاناً عالم . فإنك سوف تسأل : وفي أي فرع من العلوم ؟ فأقول لك : إنه عالم في الطب . فتسأله : وفي أي فرع من فروع الطب ؟ فأقول لك : في الجراحة . وقد تسأله : وما قدر إيجازته لهذا التخصص ؟ .

هذا بالنسبة إلى علم المخلوق ، أما علم الخالق - عز وجل - فهو علم قديم . فلم يأت يوماً كان وبناً مكون . ولا يستجاء في علم الله عالم يكن بعلم به ، وعلمه مطلق

صفات أزلية .. وصفات مطلقة

فَعَلِمَ اللَّهُ لَهُمْ كَجَلَمِ الْفَاسِ ، وَعَلِمَ الْخَالِقَ لَيْسَ كَعَلَمِ الْمَخْلُوقِ .
فَعَلِمَ الْمَخْلُوقَ لَهُ حَيْدٌ ، وَعَلِمَ اللَّهُ يَلاَ حَيْدٌ .

وَعِندَ أَكْثَرِ تَبَارِكِ وَتَعَالَى طِبَاقُهُ غُلُصَهُ بِالْعَبِيدِ ، مِنَ الْآيَاتِ انْقِرَاطُهَا
مُسْتَحْدَمًا مُسْتَقَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ . مِنْهَا الْفِعْلُ الْخَاصِيُّ «عَلِمَ» ، وَذَلِكَ كَمَا
فِي خَوَلِهِ تَعَالَى :

﴿ .. فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السُّكُوتَ عَلَيْهِمْ وَأَجَابَهُمْ فَتَحْنَا فُرُوسًا ﴾

﴿١٣٨﴾

[الفتح]

﴿ .. فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا غَيْرِيًّا ﴾

﴿١٣٩﴾

[الفتح]

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَنَّهُمْ .. ﴾ ﴿١٤٠﴾

[الأنعام]

﴿ الْآنَ خِفْتُ اللَّهُ غَيْبَكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ سَعْيًا .. ﴾ ﴿١٤١﴾

[الأنفال]

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَرْتَسِبُ بِهِ نَفْسَهُ﴾ (١٦) ﴿﴾ [ن]

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسَبِّحُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٧) ﴿﴾ [النحل]

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ (١٨) ﴿﴾ [الرعد]

﴿وَيَعْلَمُ مَخْفَرُهَا وَمَخْرَجُهَا﴾ (١٩) ﴿﴾ [همز]

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٢٠) ﴿﴾ [آل عمران]

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ (٢١) ﴿﴾ [البقرة]

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٢٢) ﴿﴾ [التكوير]

وَمُسْتَعْدَمًا الْفِعْلُ الْمَاضِي «عَلِمَ» ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (٢٣) ﴿﴾ [البقرة]

﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٢٤) ﴿﴾ [المائدة]

﴿فَسِيطَرْنَا مِنْكُمْ لِيُذَكِّرُوا اللَّهَ﴾ (٢٥) ﴿﴾ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوا يَعْلَمُونَ

(٢٦) ﴿﴾ [البقرة]

﴿.. وَإِنَّ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٧) ﴿﴾

[صفا]

﴿وَأَنبَأَ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحَكِيمَ وَعَلَّمَهُ مَا بَشَاءُ﴾ (٢٨) ﴿﴾ [البقرة]

صفات ازلية .. وصفات مطلقة

و مستخدماً الاسم المشتق «عالم» . كما في قوله تعالى :

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالْغُيُوبِ الْكَبِيرُ الْقَبَلُ (٦)﴾ [الشورى]

و مستخدماً صيغة التفضيل «أعلم» على وزن أفعل ، كما في قوله

تعالى :

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ (١٥) [الإسراء]

و مستخدماً صيغة المبالغة «عليم» ، مثل قوله تعالى :

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (١١٥) [البقرة]

أنت أيها الإنسان قد تنسى أشياء مما تعلم ، أما هو - سبحانه وتعالى - فمعرفة من المهيمن ، وقد تلبس عليك الأمور إنه زادت عن قدرتك الحفظ لديك ، أما الحق سبحانه وتعالى ورغم علمه اللا محدود فهو مبتدئ عن هذا الئس والخلط بين ما يعلمه عن الأمور .

والله سبحانه وتعالى هو واحد ، (عالم الغيب والشهادة) ، وقد بنعجب بعض الناس . . لماذا جاءت كلمة الشهادة هنا . . والمقصود بها العالم المشهود ؟

نقول : إنها جاءت حتى لا يعتقد أحد أن الله سبحانه وتعالى - لأنه غيب عنا - يعلم الغيب فقط . . وأنه جل جلاله يغيب عن علمه ذلك العالم المشهود الذي نعيش فيه . . فجمع الله بين العالمين . . عالم الغيب وعالم الشهادة ، ليخلق باب التأويل والاجتهاد . . فالله سبحانه

صفات ازلية .. وصفات مطلقة

ويعالي عنه علم الغيب .. وعنده علم المشهور الذي يحدث في الدنيا .. وبهذا لا يغيب عن علمه شيء .. لا في الأرض ولا في السماء ..

إن معنى (عالم الغيب) .. أن الحق سبحانه وتعالى يعلم كل ما هو غيب عنا - وكما قلنا - نحن نعلم القليل .. والقليل جداً مما في الكون .. ولا نعلم إلا قدر ما كشفه الله لنا ..

وكلمة «عالم الغيب» تقتضي علماً مطلقاً لله سبحانه وتعالى .. فكل ما هو غائب عنا يعلمه الله تبارك وتعالى .. الكون غيب عنا ولكن الله يعلمه .. وعالم الجن غيب عنا ولكن الله يعلمه .. وعالم الملائكة غيب عنا .. ولكن الله يعلمه .. وما ينزل إلى الأرض .. وما يتعد إلى السماء .. فلا يغيب عنا ولكن الله يعلمه .. وعالم البرزخ غيب عنا .. وكذا يوم القيامة والحساب والآخرة .. والجنة والنار .. كل هذا غيب عنا .. ولكن الله تبارك وتعالى يعلمه ..

إن ما سيحدث بعد يوم القيامة غيب عنا ولكن الله يعلمه .. وما يقع في باطن الأرض غيب عنا ولكن الحق عنه .. حل يعلمه .. النعمة التي ستبت بعد ألف سنة غيب عنا ولكن الله يعلمه .. الإنسان الذي سيولد قبل القيامة يساعات غيب عنا ولكن الله يعلمه .. والورقة التي ستسقط بعد ثبات أو الزحف الستين غيب عنا ولكن الله يعلمه .. وأحداث الدنيا كلها التي ستقع غيب عنا ولكن الله يعلمها ..

إنه إذن العلم المطلق .. العلم الإلهي محدود .. اللا شيءاني .. علم بما كان وبما هو وبما كان وما سيكون ..

الكَمال

الكَمال في ذاته وصفاته وأفعاله ، والجلال له وربه وعليه يشبر إلى ذلكله فله تعالى :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا بَابٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ حُسْبٍ (٥٩) ﴾ [الأنعام]

كما يشير إلى ذلك قوله تعالى :

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالنَّهَادَةِ . . (٧٢) ﴾ [الأنعام]

وعلم الغيب يقتضى العلم المطلق ، فكل ما غاب عنا بعلمه البكون غيب لا يعلمته إلا هو ، وعالم الجبر غيب لا يعلمه إلا هو ، وعالم الملائكة غيب لا يعلمه إلا هو ، وأسرار العطاء للعالم البشرى غيب لا يعلمها إلا الله .

وعلمها المطلق باذن ملاحمها ، بقوله الحق :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا تُكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ . . (٢١) ﴾ [الأنعام]

إذن العالم المطلق العلم اللا محدود هو تعلم بما كان ، وبما هو ، وبما سيكون ، وهكذا جميع الماهيات ، فليس في العلم كمال ، فأنه قادر بفكره محدود بقدر ما أنك الله عز وجل من هذه الصفة ، أما قدرته فلا نهاية وبغير حد ، وأنت قدرتك محددة بحدود الأسباب .

يقول الله :

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَلْقِهِمَا شَاءَ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ يُحْيِي مَن يَشَاءُ وَيُمِيتُ مَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (١) أَوْ يَزُوجَهُمْ ذُكْرًا أَوْ إِنثَاً وَجَعَلَ مَن يَشَاءُ عَقِبًا إِنَّمَا عَلَيْهِ قُدْرَتُ (٢)﴾ [الشورى]

الأصل فى الإيجاد الذكر والأنثى . ولكن الله سبحانه ونعالى بطلافة قدرته خلق آدم بغير أب وأم ، وخلق حواء بغير أم ، وخلق عيسى من غير أب ، وخلق محمداً بأب وأم .

إذن : فطلافته تعمل بالأسباب وغيرها ، فأنبت إذا استشعرت الكمالات عشت فى جلاله ، وغيشة الجلال رساله ، ومن خلافة قدرته من ظواهر الكون أن المطر مثلاً نفعه فى مناطق ممطرة مناطق لا ينزل فيها مطر ، ثم نجد مناطق المطر لا تنزل فيها قطرة ماء ونصاب بالجذب ، بينما هذه المناطق ينزل فيها المطر بغزارة ، ثم نجد منابع النيل التى هى مناطق غزيرة بالمطر فندتصاب بالجذب فى بعض السنوات ، ولو أن هذا المطر ينزل بالأسباب وحدها ما حصل جذب .

إذن : بلغتنا الله إلى أن الماء الذى ينزل عن السماء ليس خاضعاً للأسباب . ولكنه محكوم بقدرته الفادر .

وإذا انتقلنا من الكون إلى عالم الحيوان رأينا عجباً ، فهذا صمى بقوه جملاً وبسوق حصاناً . وهذا رجل يروض أسداً ، يقول الحق :

﴿وَلَنَلْنَاهَا لَهِمْ فَتَنَهَا وَكُوبَهُمْ وَمِنهَا يَأْكُلُونَ (١)﴾ [يس]

الكمال

ولو انتقلنا إلى عالم الزرع لمجد قدرة الله تنجلي فيه ، والإنسان
 ذريع ، والله يعطيه الأسباب ، ثم نأمن آفة لا يعرف أحد عليها شيئا
 فنقتضي على هذا الزرع ، بقول الحق :

﴿ وَأَحْبَطَ نُشْرَهُ فَأَصْبَحَ يَنْفَخُ كَنَفَهُ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى
 عُرُوشِهَا .. ﴾ (٢٢) [الكهف]

ولو عشنا مع الجماد نجد أن من شبيعة الأرض نبات فشرتها بدوام
 الحياة عليها ، وفي بعض الأحيان فنحصول هذه القشرة المشابهة إلى
 البراكين ، وتحدث الزلازل المدمرة . ويتقدم العلم ويكشف الله من
 علمه ما يشاء ، ولكن يبقى الإنسان عاجزا عن أن يتبأ بالزلازل .
 يقول الله وهو أصدق القائلين :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ
 مِثْلَهُمْ .. ﴾ (٢٣) [الأنعام]

إلى غير ذلك من الآيات التي تبين «فلافة» القدرة ، والإيمان بطلاقة
 القدرة هو البقين بعينه . وحق البقين توحيد ونقديره ، لأنه ربنا
 الموجود الذي تبين في خلقه بالنبات والدقة التي لا تتأثر بالزمن .
 ولا تتعين بالأسباب ، فنبارك الله أحسن الخالقين ، ليس كمثله شيء ..
 وله صفات اختصاص الله بها دون سواه : فصنة الخلق من العدم المطلق .
 وصفة الإحياء والإماتة والأزلية .

وهناك صفات فيها انشراك بين الخالق والمخلوق . ولكنها هي المخلوق موقوفة بحده ، أما صفات الله فهي مطلقة بغير حده ، ليس كمثله شيء . والله قادر وقدير في كماله بغير حده ولا قبله ولا مسبب ولا فانوق .

أما قدرة المخلوق في حدود إمكاناتك وفي حدود زمرك . ولكني تعبت مع كمال الأسماء لا يا . أن تدرك ثم تتفعل ثم تصبوا . تختار ولا تختار إلا القوي القادر .

يقول الحق :

﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (سورة النجم ١٠٢) **الذي يخلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لا إله إلا الله** . وينفكرون في خلق السموات والأرض ولنا ما خلفت هذا باطلاً متحالك **فكنا عذاب النار** (سورة النجم ١٠٣) .

ففسى التأمل فكرر . وفي الفكر ذكرهم . ويقلوذكرك لله تعيش في نوره ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْمِلِ اللَّهُ لَهُ بُرْءًا لَمْ يَدْرِهِ مِنَ الْوَرَعِ﴾ (سورة النجم ١٠٤) .

يقول الحق :

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِ كَوْكَبٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجْجَةٍ الزُّجْجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرٍ بُشْبَاشٍ كَذَّةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَلْحَسْهَ لَأَرْثَرَ نُورًا عَلَى

الخـمـال

نُورٌ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾

فتنور الله شخصه الله لأعلن الفكر والذكر ، بفول الحق :

فَإِذَا سَمِعْتُمْ أَذَانَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعُوا وَتَذْكُرُوا فِيهَا اسْمَهُ تَبَحُّ لَهُ فِيهَا بِالْعَدْوِ
وَالْأَصَالِ، وَحَالًا لَا تَلْهَيْهِمْ تَحَارُظًا وَلَا يَمُحُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَرِثَةِ اللَّهِ
وَرِثَةِ الزَّكَاةِ بِخَافُونَ يَوْمًا تَتَغَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٢٧) لِيَجْزِيَهُمُ
اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ (٢٨) ﴿٢٧﴾

وفيد سبق أن قلت : إن أسماء الله الحسنى تتجلى في الغيب ،
والمشهور . تتجلى في الحركية ، فالحركة من خلال عالم بتدبير ، ومن
خلال فلوقة بتدبير .

وهذه الحركة نضج في صفات الكمال وصفات الجلال . ولكني
تعبت في عبادة الله سبحانه وأسماؤه الحسنى لا بد أن نشاهد فشله
ونحبه . فإذا أحببنا وحلنا ، وإذا أوحدنا فزادنا ، وإذا عرقلنا تجرأنا له
وهد . **يَقُولُ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٥٧)** .
[الأنعام]

طلاقة قدرة الله متحفة في جميع ظواهر الكون . فلو أخذنا المعطر
وماءه . أتى الله سبحانه وتعالى بأسباب كونه جعل مناطق ممطرة في
الكون . ومناطق لا ينزل فيها مطر . وقد كشف الله للعالم من علمه
ما جعلهم يضعون خريطة للأسباب لتحديد المناطق الممطرة وغير
الممطرة .

ثم أنزل الله سبحانه وتعالى في لفظة الله طلاقة قدرته . فنجد
المناطق الممطرة لا تنزل فيها قطرة ماء وتصيب بالجذب . ويترك الزرع
والخيرات . وقد يموت الإنسان عطشاً . بينما هذه المناطق كان ينزل
فيها المطر بغزارة . وربما ساء في أنهار ليروي غيرها من البلاد التي
لا ينزل فيها مطر .

فتجد مثلاً منابع النيل التي هي مناطق غزيرة المطر تأتي فيها سنوات
جفاف فلا يجد الناس الماء . ولا يحدث هذا بشكل مستمر بل في
سنوات متباعدة .

لأن هذا المطر ينزل بالأسباب وحدها ما وقع هذا الجذب في
المناطق غزيرة الأمطار . ولكن الله يريد أن يلفتنا إلى طلاقة قدرته .
والتي أن الماء الذي ينزل من السماء ليس خاضعاً للأسباب وحدها .
ولكن الذي يحكمه هو طلاقة قدرة الله . حتى لا نعتقد أننا أخذنا الدنيا
وملكناها بالأسباب . ولكن نعرف أن هناك طلاقة قدرة الله سبحانه
ويعلم . وهي التي تعطى ونزع . وأنه - جل جلاله - غيبي
الأسباب . وهو سبحانه السبب يغير ويبدل كما يشاء .

فإذا جئنا إلى الزرع ذلك الذي فيه عمل الإنسان، نجد مظاهر طَلَاقةِ
الْقُدْرَةِ . . . فالإنسان يزرع الزرع، الله يحطه كثر الأسباب . . . الماء
موجود والكيمياء متوافرة . . . والأرض جيدة . . . ثم بعد ذلك تأتي
آفة لا يعرف أحد عنها شيئاً، ولا يحسب لها حساباً، فتتقضى على هذا
الزرع تماماً.

وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَأَحْبَطَ نُفُورَهُ فَاُصْبَحَ يَنْفَتِحُ كَفْهَهُ عَلَى مَا أُنْفِثَ فِيهَا وَهِيَ خَازِنَةٌ عَلَى
عُرْوَتِهَا وَيَقُولُ يَا بَنِيَّ لِمَ أَشْرَكْتُمْ بِيَّ أَحَدًا ﴾ [الكهف]

ونحن نعرف أن الأوقات تعيب كل مكان في الأرض لا يعلم عليها
عالم . . . إلا أن الله تعالى لا يترك الأرض لا تطبقنا الأمور
بالأسباب وجدها . . . ولكن بقُدْرَةِ اللَّهِ سبحانه وتعالى التي هي فوق
الأسباب . . . فلا نعبد الأسباب وننسى المسبب . . . كمن عبدوا البقر
والكفار وغيرهما من المعبودات.

فإذا التفتلنا إلى الحيوان نجد طَلَاقةِ الْقُدْرَةِ واضحة . . . فهناك
الحيوان ما نزيد قوته على قوة الإنسان هزات وموات . . . ولكن الله
سبحانه وتعالى قد أخضعه وذلة للإنسان.

إننا نجد الصبي الصغير يقود الحمل أو الحصان وبضربه . . . والجمال
يستطيع بضربة قدم واحدة أن يفضي على هذا الطفل ولكنه لا يفعل
وبعض ذليلاً مطعماً، ولا يرد على الإيذاء وغم قدرته على ذلك،
ونجد الكلب مثلاً يحرس صاحبه - بدافع عنه لأن الله ذلله له - فإذا

جاء إلى الذئب أو الثعلب من فعيالة الكلب نجده بفنرس الإنسان ويقننه .

ولو أن هذا التنازل للمجوان بقدرة الإنسان لاستطاع كما ذكر الجمل والبنية والكلب أن يذلل الذئب والثعلب وغيرهما من الحيوانات . . ولكن الله يريد أن يلفتنا إلى أن هذا التنازل نفاذ به سبحانه وتعالى . وهذه علامات من علامات طلاقة القدرة في الكون . . ليؤمن الحق سبحانه وتعالى إلى أن كل شيء بقدرته وقده ، وليس بالأسباب ، وليس بقدرة الإنسان .

ثم تأتي إلى الجماد . . الأرض من طبيعتها ثبات قسرتها حتى يستطيع الناس أن يعبثوا عليها ، وينادوا بها كنعيم . ويمارسوا حياتهم . فلو أن قشرة الأرض لم تكن ثابتة لاستحالت الحياة عليها ، والاستحالة عما فيها .

إن الله سبحانه وتعالى يريد منا عمار الأرض . . ولذلك جعل قسرتها ثابتة صلبة . . ولكن في بعض الأحيان تتحول هذه القشرة الثابتة إلى عدم الثبات . . فتتفجر البراكين ملبقة بالحمم . . وتحدث الزلازل التي تدمر كل ما على المكان الذي تقع فيه .

ويقدم العلم . . ويكشف الله عن علمه لخلق ما يشاء . . ولكن يبقى الإنسان عاجزاً عن أن ينبأ بالزلازل . . فجاء الزلزال في أكثر بلاد الدنيا فندماً لينا جيء أهلها دون أن يشعروا بشرب وغوغة .

بل إنه من طلاقة قدرة الله عز وجل أنه أعطى بعض الحيوانات التي ليس لها عقول تفكر ولا علم ولا حضارة . . أعطاها غريزة الإحساس

.. طلاقة القدرة .. وليس الأسباب

بقرب وقوع الزلزال .. ولذلك فهي تسارع بمغادرو المكان، أو يحدث لها هياج إن كانت محبسة في الخصاص أو حضان مغارة .. ذلك، ليلقنا سبحانه وتعالى إلى أن العلم يأتي منه، ولا يحصل عليه الإنسان بنفسه .. فبعضهم من لا قدرة له على الفكر والكشف العلمي ما لا يعطيه لنا، لكنت الذي ميزه بالعقل والعلم.

لماذا؟ .. لتعلم أن كل شيء من الله فلا نعبث بقدرة الله .. فلا نقول: انتهى عصر الدين والإيمان وبدأ عصر العلم .. بل لعلنا نشت إلى أن الله يعطي لمن هم دوننا في الخلق علماً لا نعمل نحن إليه .. فنعرف أن كل شيء، بقدرته وحده سبحانه وتعالى .. وقد أكد الحق سبحانه وتعالى طلاقة قدره بالعديد من الآيات الفخمة فستفاد متعددة منها «القياس» كما في قوله تعالى:

﴿.. قُلْ إِنْ أَلِهَةٌ فَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(٣٧)﴾ [الأنعام]

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَمَسُّكُمْ شَيْعًا وَيَزِدَّكُمْ نَصْرًا أَوْ يَنْصُرْكُمْ أَلَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ أَنْ يَدْعُوا وَلَهُمْ يَفْقَهُونَ (٣٨)﴾ [الأنعام]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَادْرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ لَهُمْ مِثْلَهُمْ (٣٩)﴾ [الأنعام]

ظِلَاقَةُ الْقَدْرَةِ . . وَلَيْسَ الْإِسْبَابُ

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ لَخَلْقُهَا
شَاقًّا عَلَيْهِ أَنُتَّبِعِي السَّوْتِي . . (٦٥)﴾ [الأنعام]

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٦٦)﴾ [النطاري]

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ
لَقَادِرُونَ (٦٧)﴾ [الأنعام]

﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ تَرْجِعَهُمْ لَقَادِرُونَ (٦٨)﴾ [المؤمنون]

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٦٩)﴾ [المعارج]

﴿فَقُلْدِرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٧٠)﴾ [الزمر]

﴿إِنِّي بَلِيٌّ قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُومَ بِيَانَهُ (٧١)﴾ [الزمر]

﴿. . وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَنَعِهِمْ وَأَنبَغَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (٧٢)﴾ [الفرقة]

﴿. . أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ كُفْرُكُمْ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
(٧٣)﴾ [البقرة]

﴿. . بِخَلْقِ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٤)﴾ [المائدة]

..... [طَلَاقة الْقُدْرَةِ .. وليس الأسباب]

﴿... وَيَسْتَدَالُ فَرْعًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٦)
[التوبة]

﴿... وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٧) [الحج]

﴿... يُرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٨)
[فاطر]

﴿... وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (٣٩) [التورى]

ولقد لفتت مريم ذكريا عليهما السلام الى طلاقة القدرة الإلهية حينما سألتها :

﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا...﴾ (٤٠) [آل عمران]

فأجابته مريم :

﴿... قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِرِزْقٍ مِنْ يَشَاءُ بَعِيرٌ حَسَابٍ﴾ (٤١)
[آل عمران]

حينئذ دعا ذكريا ربه في قضيه لا تنفع فيها إلا طلاقة القدرة . فهو رجل عجوز وامراته عجوز وعائمه ويريد ولدا .

هذه دعة ضد قرائن الكون ؛ لأن الإنجاب - بمرارة - ع - ر - - - - -
للزوجين . فما بالك إذا كانت الزوجة عاقرا ، لم تنجب وهي شابة
وزوجها شاب ، فكيف تنجب وهي عجوز وزوجها عجوز ؟

هذه مسألة ضد القوانين التي تحكم البشر، ولكن الله وحده القادر على أن يأتي بالقوة الإلهية. وقد فقدت مسئلة الله عنه حلها، وقد ذكرنا بأنه بحسب .

جميع المعجزات التي أتت بها أنبياءه كانت خارقة لنواميس الكون، فمعجزة شق البحر بعصا موسى عليه السلام كانت خرقاً للنموساتم والقوانين التي تحكم الكون. فمن خصائص الماء وهو في الحالة السائلة أن يتشكل وفقاً للحيز الذي يوجد فيه، فبأخذ شكل الكوب وبأخذ شكل المجرى الذي يجري فيه .. أما أن يفقد ويشت الماء على شكل جبل وهو في حالته السائلة ويولد أن يلتصق به حاجز من الزجاج .. فهذا لا يحدث إلا بخرق لخصائص الماء. هذه حالته السائلة.

وحين يحدث فهي إذن القدرة الإلهية التي نتحدث وتكسر أي قانون.

ومعجزة العصا وتحولها إلى ثعبان كانت خارقة لخصائص الزواحف التي تحكم الجماد.

ومعجزة امتناع النار باذن خالقها عن حرق أي الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبيته أفضل الصلاة وأتم التسليم - كانت خرقاً لخاصية النار في الإحراق.

وهكذا جميع المعجزات تمثل خرقاً لنواميس الكونية.

طلاقة القدرة .. وليس الأسباب

إذن: كل شيء في هذا الكون باسم الله .. يتم باسم الله وبإذن الله .
الكون تحكمه الأسباب نعم .. ولكن إرادة الله فوق الأسباب ؛ لأنه
خالق الأسباب ، والخالق هو الحاكم على المخلوق بنواميسه ..
ولا يصح أن يحكم بنواميس مخلوقاته .

ومظاهر قدرة الله في كونه كثيرة .. فهو وحده الذي يتعبد عباده
المسالحين ، وهو الذي ينصر الضعيف على القوي ، وينتقم للظالم من
الظالم ، وكل ما في الكون خاضع لطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى .

على أن طلاقة القدرة في تعبير ما هو ثابت من قواته الكونية إنما
سيأتي عند نهاية الحياة على الأرض .. حينئذ يغير الله القواصين كلها
ويحدث الدمار الشامل ، ونشهى الحياة على الأرض . بل وفي الكون
تمامه .. رسامياً لا يحركه الموت .. إلا الله .. والله إلى الحق لا يرد
لا يموت .. وذلك مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشثرت (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْبُيُوتُ نُعْثِرَتْ (٤) عَلَسَتْ نَفْسٌ مَّا قَدِمَتْ وَأُخِّرَتْ (٥)
(١٠) ۞ ﴾

وقوله تعالى :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأُخْرِجَتْ الْأَرْضُ أَثْقَالُهَا (٢) وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَّا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ نُجْدْتُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥)
يَوْمَئِذٍ يَشُدُّ النَّاسُ أَسْتَاثًا لِّبُرُؤِ أَعْمَالِهِمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ۞ ﴾

وقوله تعالى :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ (١) وأذنتُ لربها وحُفَّتْ (٢) ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذنتُ لربها وحُفَّتْ (٥) ﴿ [الانشقاق]

يقوله تعالى :

﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (٦) [عنبر]

إذن : الذين يقولون : إن عظمة الله سبحانه وتعالى في خلقه هي الثبات والدقة التي لا تتأثر بالزمن ، والتي تبقى حلالين السنين دون أن تتحل ولو تلبس واحد . يقول لهم : هذه موجوده واسطروا إلى القوانين الكونية ووقتها ، وكيف أنما لم تتأثر بالزمن .

والذين يقولون : إن عقلية الحق سبحانه وتعالى في طلاقة قدرته في كونه وألا تكون هذه القدرة مقبدة بالأسباب . يقول لهم : انظروا في الكون رب واكم . طاهر ملاقاة المارة . ربما الما اخر من : أو مستورة . بل هي ظاهرة أمامنا جميعاً ، وليست في أحداث بعيدة عن حياتنا . بل هي تحدث لنا كل يوم .

وإذا صاح إنسان من قلبه : (ينا كبير) أو (منا موجود) أو (ربك يمهل ولا يمهل) . فمعنى ذلك أنه رأى طلاقة قدرة الله تنصف مظلوماً ، أو تنتقم من ظالم . أو تنصر ضعيفاً على قوي . أو تأخذ قرياً وهب . محاط بكل قوته الدنيوية .

طلاقة القدرة . . ولبس الأسباب

فالإيمان لا ينذكر قدرة الله عندما يرى الكون أمامه يمضي بالأسباب ؛ لأن ذلك شئ ، غافني ولا يوجب التعجب .

فانتصار القوى على الضعيف لا بشر في النفس اندهاشاً ، وشروقي الشمس كل صباح لا يستوقف الله حين ، ولكتنا فنذكر قدرة الله إذا اختلفت الأسباب أمامنا ، وجاء المبيب ليعطينا ما لا ينتق مع الأسباب ولا مع قوانينها .

هذا عن طلاقة علم الله سبحانه وتعالى وطلاقة قدرته ، فإذا تأملنا صفة أخرى من صفات الحق غير وجل وهي صفة «الخلق» ، نجد أنه تبارك وتعالى لم يفتن على عباده بصفة الخلق ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنين]

نعم . . استطاع البشر خلال ارفاءات حبايتهم المادية أن يتوصلوا إلى أشياء واكتشافات ، ولكن الاكتشافات العلمية لا تستطيع أن توجد من عدم . . فهم بأبحاثهم المادية - التي خلقها الله - ويستخدمون العقل - المخلوق من الله - فيما يفعلون .

فعلني سبيل المثال ؛ الذي يصنع الكوب يستخدم المادة الموجودة في الأرض من الرمال الخاصة ، ويستخدم الطاقة التي خلقها الله في الكون لتساعة هذا الكوب ، ولكن هناك فرقاً بين ما يصنعه البشر ، وما يتم بقدرة الله تبارك وتعالى ، فكل صناعات البشر لا يستطيع الإنسان أن يهبط لبها الحياة ، كان يجعلها تتكاثر بدانها لتعطيك مثلها ، فلا يستطيع إنسان أن يصنع كوباً ذكراً وكوباً أنثى ، ثم يجعلها

بطلاقة القدرة ، وليس الأساب

تتكاثر بذاتها ، كما أنه لا يستطيع أن يعطيها خاصية النمو بحيث تنمو
الكوب الصغيرة وتصبح كوباً كبيراً .

فصنعة المخلوق تُعسد وتبني على حالها ولا تنتج مثلها ، ولكن
صنعة الله سبحانه وتعالى تختلف ، ذلك أنه خلق من غير موجود ،
بمعنى أنه ليست الصناعة فقط من خلقه ، ولكن المادة أيضاً من
خلقته ، وليست الصناعة على شأى موجود .

هذا هو الفرق بين صنع الخالق وصنع المخلوق . . إن صنعة الله عز
وجل تنمو بذاتها وتكاثر ذاتياً فتعطي مثلها ، والمخلوق لا يستطيع أن
يفعل ذلك ، إن الله سبحانه وتعالى خلق من لا شئ ، رأت خَلْقَت
من أشياء موجودة .

إننا إذا أردنا الطعام شأى تأتي الأرض تحرثها وتزورها ، ثم تحصد
ونطحن ونخبز ونُعِدُّ الطعام .

إذن : أنا أخذت من كون الله بالفكر الذى أعطاه لى ، والطاقة التى
زودنى به ، وكل هذه الأشياء هى من الله ، وكل هذه الأشياء
استخدمت موجوداً ، ولكن الأصل فى الوجود أنا لم أت به ، ذلك
أن الخلق الأول من الله سبحانه وتعالى .

حبّة القمح التى زرعناها وأنتجت لك المحصول من أين بحث بها ؟
من المدسول الذى قبله ؟ من أين أنتجت بالمدسول الذى قبله ؟ من
ذلك الزرع الذى زرع منذ عامين ، وتظل تمضى فى تسع حبّة القمح

التي في يديك لتصل إلى البداية . ومعنى أنها من صنع الله عز وجل الذي أتقن كل شيء .

ولكن هل أوجدنا الله سبحانه وتعالى من محض الصدفة ؟ لا . . . وإنما أوجدنا من عدم . وكذلك كل ما في الكون . . الإيجاد الأول من الله . والله سبحانه وتعالى هدى الإنسان إلى أن يعرف خصائص هذا الوجود الأول . لباخذها وتعظيمه وجوداً ثانياً وثالثاً ورابعاً وهكذا ، ثم بعد ذلك تدوير دورة الحياة مرات ومرات ، وإليه آفوه تعالى :

﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ (٢١:٢٠) ﴿ [الأنبياء]

وما سبق يتبين لنا أن صفة الخلق لا يلى الله سبحانه وتعالى مطلقاً ، فصحة ما شاء . . وقد أكد الحق سبحانه وتعالى طلاقة هذه الصفة بالعديد من الآيات القرآنية ، فقال عز وجل :

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ (٨٨:٢١) [يس]

﴿ أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثليهم ﴾ (٢٣:٢٤) [الأنبياء]

﴿ ومنهم من يشقى على أربع يخلق الله ما يشاء ﴾ (٢١:٢١) [التيسر]

﴿ ومنك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ (١٨:٢١) [القصص]

﴿ ثم جعل من بعد ضعف قوله قم جعل من بعد قوة منسفاً وخيبةً بخلق

ما يشاء ﴾ (٢٤:٢٤) [الأنبياء]

﴿وَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ مُفَادِرٌ عَلٰى اَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾

ملئ : جَدُّ الْخَلْقِ الْعَلِيمُ (٨٥) ﴿

[س]

﴿لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ .. (١٤٩)﴾ [الشورى]

ولا يظن أحد أن الطلاقة تتعلق بالعلاقات التي تحدثنا عنها فقط ،
وهي العلم والقُدرة والخلق ؛ لأن الطلاقة وصلت لجميع صفات الله عز
وجل ، فكل صفاته مطلقة لا تقف مع الانسحاب والشيء ، ولا يحد
حد .

فَعَزَّهٗ جَلَّ وَعَلَا مَظْلَمَةٌ ، وَصَحَّهٗ مُطْلَقٌ ، وَحَكَمَتْهُ مَظْلَمَةٌ ،
وَبَصَرُهُ مُطْلَقٌ ، وَعَظَمَتْهُ مَظْلَمَةٌ ، وَغَدَلَهُ مُطْلَقٌ ، وَكَرَمَهُ مُطْلَقٌ ،
وَرَحِمَهُ مَظْلَمَةٌ .

وقد حاول البعض التشكيك في طلاقة صفة الرحمة لدى الله عز
وجل فقالوا : إن رحمة الله ليست مطلقة ، وإنما أدخل أحدا جهنم !
والحقيقة أن هذا أقصّر .. إذ إن رحمة الله قد شملت جميع
مخلوقاته ، منذ أن خلقهم من العدم المطلق ، وتحفل بتوفير مقومات
الحياة لهم من هواء وماء وطعام إلى غير ذلك مما لا نستطيع حصره ،
وفي مقابل ذلك طلب منهم عبادته وطاعته بما هو مبسور لهم من
العبادات . وهذه العبادة ليست إلتزاماً ببعض الأعمال واستماعاً عن
بعض .. علماً بأن الإلتزام بالتعلل لا يمنع عنه تخيل لهم حياة عريضة
هادئة ، ويحتقن لهم الأمن والأمان وسعادة الدنيا والآخرة .

طائفة القدرة .. وليس الأسباب

فإذا أطاعوا الله فيما أمر به ونهى عنه فستشملهم رحمته في الآخرة
« ١٠١٠ هـ في الآخرة » وأما ما ذكره من أن الله تعالى يتناسب مع
نعمه عليه . فقد استلحق عن نفسه مريجات الرحمة في الآخرة .
والمستحق أن يعامله الحق عز وجل بمقتضى عدله المطلق ، والذي
بمقتضى معاملة كل إنسان وفقاً لعمله في الدنيا .

ولو صار في الله بين عباده على الأسباب وأدنى الأسباب
جناته ، لأصبح ظالماً لعباده الصالحين الطائعين . . فعدله عز وجل
بمقتضى أن يكون رحيم الدنيا . فتشمل رحمته في الدنيا جميع
خلفه ، وأن يكون رحيم الآخرة فتشمل رحمته في الآخرة عباده
الصالحين الطائعين

بل إنه يعذب النفوس الشريرة التي دأبت على المعصية قد يكون
رحمة من الله سبحانه وتعالى لتظهر هذه النفوس عن شرها
وعنادها ، فإذا أدخلها الجنة بعد ذلك دخلت طاهرة بما يتناسب مع
قدامة الجنة وقدامة أهلها .

هنالك صفات يختص بها الحق سبحانه وتعالى دون سواه ، كصفة الخلق ، عدم العدم المطلق ، وصفة الإحياء والإبادة والبحث والأزلية ، وهناك من الصفات ما هو مشترك بين الحق عز وجل ومخلوقاته .

فعلى سبيل المثال . نحن نشترك مع الحق عز وجل في صفات مثل : السمع والبصر والقدرة والكلام وغيره من الصفات .

فما الفرق بين الصفة لله عز وجل والصفة لمخلوقه ؟

ذكرنا من قبل أن صفات الله عز وجل تبلغ منتهى الكمال . فنعني أن الصفة غير محدودة ، وغير مقيدة بالأسباب والفراغ . فأنت قادر ، ولكن قدرتك محدودة . نظير على أشياء ولا تفكر على أمري . وقادر الله على كل شيء . من ذلك العظمة إلى قوة الشباب إلى ضعف الشيخوخة . وقدرتك تنتهي بموتك . بينما قدرة الحق جل وعلا مطلقة ؛ لأنه قادر على كل شيء ، كما أن قدرته تتحدى القوانين . وقدرته لا تضعف أو تنقص أو تنتهي ؛ لأنها صفات الكمال المطلق الواجب لذاته عز وجل ، والكمال المطلق لصفاته يقتضي دوامها بلا نهاية .

والله سبحانه وتعالى قد حثنا على التفكير في صفاته من حيث تعالى هذه الصفات وعلاقته بها ، كما حثنا على التفكير في مخلوقاته ؛ لأن التفكير فيها يلفتنا إلى كمال صفاته ، وهذا يعني أنك حين تفكر في هذه الصفات ينبغي أن تجعل تفكيرك محصوراً بإطار ليس كجعله .

ص ٩٤ .

ليس كمثلها شيء

فلنؤمن بأن الله - عز وجل - سميع ، وأن سمعه مطلق ، ولكن
إياك أن تفكر في كيفية هذا السمع . . هل يسمع بأذن؟ أم بأذن؟ أم
ليس له أذن بالمرءة؟!

ولنفهم أن الله - عز وجل - بصير ، وأن بصره مطلق ، ولكن إياك
أن تفكر في كيفية هذا الإبصار . . هل يبصر بعين؟ أم بعينين؟ أم ليس
له عيون بأدوية بالمرءة؟

ولنفهم أن الله يتكلم ، ولكن إياك أن تفكر في وسيلة الكلام لديه -
عز وجل - هل يتكلم بلسان؟ أم بدهون لسان؟ نخذ جميع صفات
الحق - عز وجل - في إطار « ليس كمثل شيء » .

فلنكن إيمانك بوجود الصفة وكمالها بعبداً عن كيفية تعليلها بالذات
الإلنية العلية ، ومن صفات الحق سبحانه وتعالى أنه أحد . . أي :
ليس له أجزاء (أي : غير مركب) ، وهذا يتفق مع مقتضيات العقل ؛
لأن الذي له أجزاء يلزم أن يسبقه آخر ليجمع هذه الأجزاء مع بعضها
البعصر فينتج هذا المركب ، كما أن زوايا أجزاء المركب يؤدي إلى
وه الله ، كونه بأجزاء جعله محده ، وأبعد أجزاءه . والله - سبحانه -
ونعالي فوق النحدبد .

ولننظر إلى قوله تعالى :

﴿يَبْدَأُ اللَّهُ فَوْقُ أَيْدِيهِمْ . . (١٠)﴾ .

[التفتح]

وقوله تعالى :

﴿وَلَنُصَنِّعَ عَلَىٰ عِينِي . . (٢٠)﴾ .

[غده]

ليس كمثله شيء

وقوله تعالى :

«كُلٌّ مِنْ غَلْبِهَا فَإِنَّ (٢٦) وَبَقِيَ وَحْدَهُ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ (٢٧)» [الرحمن]

وقول المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام :

«إِنَّ بِمِيقَانَ اللَّهِ مَلَأَى ، لَا يَغِيضُهَا نَفْثَةُ سَحَابٍ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، أَوْ أَبْثَمَ
مَا أَنْفَقَ مِنْهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قِيَامَةً لَمْ يَمْضِ مَعَهَا بِمِثْلُهُ ،
وَعَرِثُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَيَمِدُّهُ الْأَحْزَى الْقَبِضُ - أَوْ الْفَبْضُ - بِرَفْعٍ
وَيَخْتَفِضُ » ،

وفى الحقيقة أنه لا تعارض بين أحدية الله عز وجل وبين أن يكون له
يدٌ وعينٌ ووجهٌ ، لأن هذه استحالاتها مجازية المعنى مثبته التحريم ،
فالحق سبحانه وتعالى يعلم أن قياسات الإنسان تكون على وفق ما يعلم
من ذوات المخلفات ، فأنث لا تتصور كيف يرى الله بلا عين
كعينك ، ولا تتصور كيف يسمع بلا أذن كما ذنك ، ولا تتصور كيف
يتكلم بلا لسان كما نك ، ولا الآلهة حارة ، ولا الآلهة الباردة .

وإذا تأملنا الآية الكريمة :

«كُلٌّ مِنْ غَلْبِهَا فَإِنَّ (٢٦) وَبَقِيَ وَحْدَهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)»
[الرحمن]

نجد أن كلمة وجه لا تعنى الوجه الذى نتصوره ، لآلها الحق سبحانه
وتعالى أشار إلى أن له بدأ وأن له غيباً .

فحين يقول - جل وعلا - إن كل شيء سيخضع إلا وجهه .. فهل
 يعني ذلك أن الله - تعالى - وأنزله - تعالى - وأنزله - تعالى -
 بالقطع لن يحدث ذلك .

إذن : كلمة «وجه» هنا تعني «ذات» ، فيكون المعنى أن كل شيء -
 سيقضي عداذنه جل وعلا .

ونفساً عن ذلك فقد حدثنا أخيراً سبحانه وتعالى - كما جاء في
 العديد من الأحاديث النبوية الشريفة - على التفكير في صفات الله عز
 وجل والتفكير في مخلوقاته ، نهى عن التفكير في الذات الإلهية
 العلية ، وأوضح أن عاقبة هذا التفكير هي الضلال والهلاك ،
 وسحدث عن عمله ذلك فيما يلي .

تفكر .. ولا تفكروا

حَتَّىٰ أَحْسَنَ سُبْحَانَهُ وَفَعَالِي عَلَى التَّفَكُّرِ فِي كَلَامِهِ وَصِفَاتِهِ ،
كما حث علم التفكير في مخلوقاتهِ بآياتٍ ليسهل حصرها ، وذلك لأن
التفكير في مخلوقاتهِ بلغت النظر إلى كَماله صفاته ، وفي ذلك يقول
جل وعلا :

﴿إِن لِّيَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ
الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ
فَأَخْضَاهُ إِلَى الْأَرْضِ بِعَدْوَيْنِ بِهِ نَبْتَغِيهَا وَمِنْ فَبِهَا مِنْ كُلِّ ثَابِتٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ
وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
(١٣١)﴾ [البقرة]

ويقول تعالى :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنْ
الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٠٦) وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهٍ
قَائِمُونَ (٢٠٧) وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْأَمْثَلُ
الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٠٨) ضَرِبَ لَكُمْ
مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَهْلَ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ
فَأَنْتُمْ بِهِ سَوَاءٌ تَخَافُ أَنْتُمْ أَنْ يُخَفِّضَكُمْ أَنْفُسُكُمْ كَذَلِكَ تُفْسِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ (٢٠٩)﴾ [البقرة]

هـ. وتلك الأمثال تُخبرُها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٢١٠) ﴿

[الأنعام]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَكَبَّرَ

وقوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْقَسِيمِ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ..﴾ (٨٨) ﴿ك﴾ [الروم]

وقوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَكْرِهِاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ
شَيْءٍ ..﴾ (٨٩) ﴿ك﴾ [الأعراف]

وقوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ تَنْتَهِاهُ رَبَّنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ
قُرُونٍ ..﴾ (٩٠) ﴿ك﴾ [الذِّكْر]

وقوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خَلَقْنَا ..﴾ (٩١) ﴿ك﴾ [الغاشية]

وقوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجَدِيدِ فَتُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ
مِنْهُ أَلْعَامُ مِنْهُمْ وَنَجْثُهُمْ أَفَلَا يَبْصُرُونَ ..﴾ (٩٢) ﴿ك﴾ [السجدة]

وقوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْقُرْآنَ آمَ عَلَى غُلُوبِ أَتْمَالِنَا ..﴾ (٩٣) ﴿ك﴾ [محمد]

لقد جعل الحق سبحانه وتعالى التفكير والتدبر في مخلوقاته وصفاته وكلامه فريضة على كل إنسان . فإذا كان الحق سبحانه وتعالى حريصاً على انطلاق فكر المؤمن بهذه الكيفية ، فما الحكمة من النهي عن التفكير في ذاته عز وجل من خلال عدة أحاديث نبوية شريفة ، نذكر منها قوله المصطفى ﷺ : «تَفَكَّرُوا فِي صِفَاتِ اللَّهِ ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِهِ تَضَلُّوا» .

الحكمة واضحة جليلة . فالحق سبحانه وتعالى إذا أمر بشيء . ففإن أن في فعله خيراً ألقاه له ولن أحاط به ، ولا ينهى عن شيء إلا ونجد من جراء فعله شراً يضاعله وبمن أحاط به ، فقد أسرنا عز وجل بإبناء البركة ، وأمرنا بالتصدق على الفقراء والمساكين ، وأمرنا أن نصدق في القول والعمل . وأن ندفع السبوة بالخصم ، وغير ذلك من الأوامر .

فإذا تأملت هذه الفضائل وأثرها على المجتمع عامة والفرد خاصة لعلمت الحكمة من الأمر بفعلها .

وقد نهانا عز وجل عن قتل النفس بغير حق ، والسرفه والزنا وشرب الخمر والغيبة والنميمة والكذب . وأن ندخل البيوت بغير إذن أهلها ، وغير ذلك من النواهي .

فإذا تأملت هذه النواهي وما في تركها من أثر حميد على تاركها وعلى من أحاط به لأدركت الحكمة من النهي عنها .

وإذا تأملت الأوامر والفواهي فلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بمستطاع . فإذا كانت القاعدة أنه عز وجل لا يأمر أمر ينهى إلا عن

شيء يستطيع الإنسان فعله أو الامتناع عنه . وأن الخبير لصيق بالفعل
في الأوامر وبالامتناع في التواهي . . فيما الحكمة إذن من النهي عن
التفكير في الذات الإلهية العلية؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول : إن الله سبحانه وتعالى حين أمرنا
بالتفكير في مخلوقاته . . أمرنا بذلك لأنه يعلم أن التفكير في
المخلوقات يؤدي إلى الإيمان بكمال الصفات . . إذ إن كل صفة من
صفات الحق - عز وجل - لها ما يدل على وجودها وكمالها في عالم
الكون الفسيح .

فكان الأمر إذن حكمة . . ألا وهي تيسير الإيمان بوجود الله
سبحانه وتعالى بكمال صفاته ، وفي هذا خبر عظيم للإنسان : لأن
الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى وكمالته ينشئ في قلب الإنسان
محبة الله عز وجل ، وفي ضميره الشعور بالاعتقاد . وهذا يقوده إلى
الالتزام مع الله بطاعته واجتناب معصيته ؛ ولذلك يقول الحق عز وجل :
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ ﴾ (٢١٧) [غافر]

فإذا استقلنا إلى النهي عن التفكير في ذاته وجلدنا الحكمة جليلة . .
لماذا؟ لأن العقل البشري في علمه محدود بحدود المحيط الكوني . .
هكذا أراد الله سبحانه وتعالى ، والذات الإلهية العلية خارج هذا
الطاق ، فيكون التفكير فيها خارجاً عن نطاق العقل البشري . .
وبذلك يتكون التفكير إجهاداً ليس من وراءه ظلال .

الأمر الثاني : أن الحق سبحانه وتعالى كما ورد في الآية الكريمة :

فكر .. ولا تفكر

فليس كمثل شيء وهو السميع العليم .. (١٢٤) (التورى)

لم كان له نسبة لجاز أن تصور ذاته عز وجل من خلال هذا التشابه ، ولكن حاشا لله أن يكون له شبيه ، أضف إلى ذلك أنك إذا نصورت الذات الإلهية فغدا حددتها ، ومحددك ليسا يكون ونفساً لما نعلم من ذوات المخلوقات . والحق سبحانه وتعالى فوق النجدة .

وإليك بعض الأسئلة على التفكير المنتهى عنه: هل الله سبحانه وعالي له جسم ، أم ليس له جسم؟ هل هو على شكل إنسان أم على شكل آخر؟ هل هو ذكر أم أنثى؟ ما شكل يد الله عز وجل؟ ما شكل عينه؟ ما شكل وجهه؟

كل هذه تساؤلات ونصيرات تدخل في إطار التحريم للأصنام التي ذكرنا من قبل . وعلى الرغم من هذا انتهى عن التفكير في الذات الإلهية العلية ، إلا أن الحق سبحانه لم يشأ لصوره أن تكون معبودة في عقولنا لأنه يعلم أن الإنسان محكوم بمادته ، ويعلم أن الإنسان بحاجة إلى تصور عن خالقه ، فخلق له هذا الرغبة في قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعْبُدُونَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ اللَّهَ نَزَّلَ فِي الْقُرْآنِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعْبُدُونَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ اللَّهَ نَزَّلَ فِي الْقُرْآنِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعْبُدُونَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ اللَّهَ نَزَّلَ فِي الْقُرْآنِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

(التورى)

عليهم (١٢٥)

الدعاء باسماء الله الحسنى

وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الدِّينَ يُلْحَقُوا فِي أَسْمَائِهِ

الأنعام: ٢

٢٠٠ - ٢٠١

الدعاء هو نداء من الأدنى إلى الأعلى . . ولا يتوجه أحد بالدعاء إلا لمن قدرته فوق قدرات الداعي ، وبالشبهة لله عز وجل فإننا نتوجه إليه بالدعاء ؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يستعصى عليه أمر في هذا الكون . . . لا آخرة له . . . لا آخرة له . . . لا آخرة له . . . فإنك تستغيث بالأعلى في هذا الكون الذي لا تحكمه الأسباب ، فتقول : يا رب ، متوجهاً إلى تلك القرة والقدر التي أوجدت هذا الكون وخلفت أسياه ، . . . علة سبحانه وتعالى بحضنك ما عجزت عن تحقيقه .

والدعاء دائماً يكون لطلب ما نعتقد أنه خير لك . . وكل إنسان منا يريد الخير ولكنه يحدده من وجهة نظره . . وعلى قدر علمه . . وهو يرى في المال خيراً فطلبه . . ويرى في النور خيراً ، فبالله أن يعطيه .

والدعاء بالأسماء الحسنى . . يعني أن تدعو الله باسمه الذي يوافق طلبك كأن تقول : يا حكيم هبني حكمة . . يا عزيز أعزني على خلقك . . يا قادر هبني قدرة . . يا عليم هبني علماً . . يا رزاق وسع لي رزقي . . يا رحيم ارحمني في الدنيا والآخرة . . يا كريم هبني من بحر جودك الواسع .

يا غفار اغفر لي ذنوبي ما ظلمت منها وما بطل . . يا غفار لا تمكّن مني ظالمًا . . يا غفار اغفر علي . . يا غفار اغفر ليك عملاً سوءًا . . يا هادي

الدعاء بأسماء الله الحسنى

أخذني إلى مواء السيل . يا مانع امنع عني كل مكروه . يا حفيظ
احفظني من كل . رد . يا مانع امنع عني كل مكروه . يا حفيظ
اسمع دعائي . يا مجيب اجب دعائي .

ومن الدعاء بالأسماء الحسنى أيضاً أن نردها وتكررها ، كأن نقول : هو الله الذي لا إله إلا هو - الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، ... الخ .

تَنْكِحُ أَصْل .. وَلَا تَنْكِحُ أَضْ

بِقَوْلِ الْحَقِّ بِحَالِهِ وَتَعَالَى :

يَوْمَ وَلَدَ الْأَمْتَمَاءُ الدُّنْيَى فَأَهْمَرُوا بِهَا وَذُكِرُوا الْمَوْتَ وَوَلَدُوا فِي أَسْجَانِهِ
- (١٠١) (١٠٢) (١٠٣) [الأعراف]

أَصْلُ الْإِلْحَادِ فِي اللَّفْظَةِ : الْعَدْوِيلُ عَنِ الْفَصْدِ ، وَالْمَبِيلُ وَالْجُورُ
وَالْأَنْحِرَافُ ، وَهُوَ أَيْضاً يَعْنِي الْتَكْذِيبَ وَالْكَفْرَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

يَوْمَ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا .. (١٠٤) [الفصل]

أَيُّ : الَّذِينَ يَكْذِبُونَ وَيَكْفُرُونَ بِهَا ، وَأَيْضاً قَوْلُهُ تَعَالَى :

لِسَانُ الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْمَى وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ .. (١٠٥) [١٠٦]

[الحل]

وَالْمَعْنَى : - أَنَّ لِسَانَ الشَّخْصِ الَّذِي يَمِيلُونَ إِلَى أَنَّهُ عَلَّمَ الرَّسُولَ -
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الْفُرْأَنَ أَعْمَى . ، وَالْفُرْأَنُ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ،
فَكَيْفَ يَنْعَلِمُهُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْعَرَبِيَّةَ ؟ وَفَدِ
أَسْتَخْدِمُ الْحَقَّ جُلَّ وَعِلَّا الْفَعْلَ (يُلْحَدُونَ) لِأَنَّهُ يَعْبُرُ عَنِ الْمَبِيلِ عَنِ الْحَقِّ
وَجَاهَةِ الضَّرَابِ ، وَلَيْسَ سَجَرُ الْمَبِيلِ فَحَسَبَ .

وَالْإِلْحَادُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى لَهُ أَكْثَرُ مِنْ مَعْنَى - ، فَتَكْذِيبُ
الْإِنْسَانِ لِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ بِمَا تَعْتَقِدُهُ مِنْ أَوْصَافٍ يَصْثَلُ الْإِلْحَادُ بِهَا ، ، قَالَ الْكَافِرُ
مُلْحِدٌ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْقِلُ أَنَّهُ يُدْرِكُ مِنْ بَصَفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
مَنْ أَنْكَرَ وَجُودَهُ ، وَلَا يَسْتَرْطِ أَنْ يَنْكَرَ الْإِنْسَانُ جَمِيعَ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ حَتَّى يَصْبِيحَ مُلْحِداً فِي أَسْمَائِهِ ، ، فَمَنْ أَنْكَرَ بَعْضَ الصِّفَاتِ فَقَدْ

أخذ أيضاً في أسماء الله تبارك وتعالى ، ومن أقرب هذه الصفات ، أنكسر
عالمه في إزاره غابة الكمال : قال : في الأسماء المعنى .

هناك من الملحدين - على سبيل المثال - من يحاول أن يبرهن لك
بأمثلة وأجوبة على أن الحق سبحانه وتعالى لا يستطيع خرق النواميس
الكونية ، أو يحاول إقناعك بأن صفات الحق جل وعلا ليست
مطلقة ، وغير ذلك كثير .

ومن الإلحاد في أسماء الله عز وجل أن ينسب إلى الإنسان النهى عن
التفكير في ذات الله عز وجل ، وأن يخرج عن إطاره ليس كمثله شيء
وهو السبع البصير .. (١١)

فحاول أن يرسم تصوراً للحق جل وعلا عن ذلك . فليبحث عن
شكل بد الله ، أو عين الله ، أو هويته الله ، أو كينونة كلام الله . فكل
هذه الصور السابقة تمثل الإلحاد في أسماء الله الحسنى تبارك وتعالى على
أن يجعل بذاته غيره .

إن محال الحق عز وجل ليس في محال مثل صفته من صفاته على
حدة فحسب ، بل إن هناك تكاملاً بين هذه الصفات في مجموعها .
فصفاته جل وعلا فتكامل فيما بينها بما يؤدي إلى الكمال المطلق
الواجب له عز وجل الذي وصف به نفسه ، فهو تبارك وتعالى حليم
في غير ضعيف ، قادر بلا ظلم ، ورحمة مطلقة لا تناقض عدله .

وقد ذكرنا من قبل أن بعضاً من الملحدين في أسمائه جل وعلا أراد
أن يبرهن لنا على أن رحمة الله عز وجل ليست مطلقة . فقال : كيف

تتعارض .. ولا تتعارض

تكون رحمة الله عز وجل مطلقة وهو يدخل بعضاً من خلقه جهنم
وهذا المبدأ ؟ أو كذا .. رحمة الله .. ملائكة إذا أخطأ من خلقه أمر نوع
من أنواع العذاب ؟

، نقول له ولطائفه : هل الرحمة المطلقة كما نفهمها تفنضى من
الحق عز وجل أن يرحم رجلاً - على ميل المثال - فنسى حياته في بيع
الخمر ، المتخذات نافعا الأداة المخصصة للعلاج ، وهو يعلم أنها
تدمر شعباً في مستقبل العمر ، فنضى على إنسانيتهم بالقضاء على
عقولهم .. ويعلم أن دمارهم يؤدي إلى دمار أسرهم .. وهو لا يبالى
بكل ذلك في سبيل تحقيق رغباته وإحلامه الشيطانية .. ولا يبالى
بخطر الله عليه .

هل هذه هي الرحمة المطلقة ؟ وإذا كانت الرحمة المطلقة تعنى
ذلك ، فأين هذه الرحمة المطلقة حين أهملت آلاف الضحايا من هؤلاء
البناب ، وأبهرهم ، وأهملت البقاء الذي عاشوه من جراء ذلك الذي
تسعى إلى استحقاقه الرحمة المطلقة ؟ وأين عدل الله الذي يفترض أن
يعامل كل إنسان بحسب عمله في الدنيا ، إن خيراً فخير وإن شراً
فشر ؟

إن طلائع صفة الرحمة لا تتعارض مع وجوب تحقق موجباتها ،
وإن كمال هذه الصفة يكون بما لا يتعارض مع كمال صفة العدل
الإلهي . فكما ذكرنا من قبل : إن صفة العدل الإلهي تفنضى من الله
عز وجل أن يكون رحمن الدنيا . فتشمل رحمته في الدنيا جميع

تتكامل ، ولا تتعارض

خالقه ، وألّا يكون رحيم الآخرة فتشمل رحمته في الآخرة عباده
المصالحين الطائعين .

وغيركنا شأن جميع الصفات الإلهية العلية ، وهذا هو الكمال
المطلق الواجب للحق مفر من أجل الذي تمت به نفسه .

هناك أسئلة تلح على عقل الإنسان بوسوسة الشيطان منها : من
إن الله عز وجل ؟

تقول لمن يسأل هذه السؤال : إن الله عز وجل ليس مخلوقاً حتى
نسأل عن خالقه . . فهو تبارك وتعالى موجود بلا بداية ، وأبدى
بلا نهاية . وهو سبحانه وتعالى بقدانه وأسمائه وصفاته هو الخالق
وما سواه مخلوق له .

والحق سبحانه وتعالى حين حرم التفكير في ذاته . . فلأنه يعلم أن
تفكير الإنسان يكون وفقاً لما يعلم من ذوات المخلوقات . . ويعلم أن
تفكيره محدود بخدود محيطه الكوني . . في حين أن ما ينطبق علينا من
أحكام لا ينطبق على الحق جل وعلا . لأنه هو الذي خلق هذه الأحكام
والقوانين . . فهو إذن المهيمن عليها .

فأنت حين تسأل عن خلق الله عز وجل . . فإنك تسأل وفقاً لقاعدة :
في ذهنك . . ومن أن لكل مخلوق خالفاً . . ولكنك نسيت أن الحق
سبحانه وتعالى هو الخالق لهذه القاعدة . . وحينما وضعها في نظامنا
العلمي . . فقد وضعنا لبئساً إلى وجوده .

إنما حين ننظر إلى الكون بما فيه من مخلوقات ندرك أنه لا بد أن
يكون لها خالق . . ولكن هذه القاعدة لا تنطبق عليه سبحانه . .
ولا يصح أن نقول : إنه إذا كان لكل مخلوق خالق . . فمن خلق الله عز
وجل ؟ لأن الحق تبارك وتعالى ليس له بداية أو نهاية . . بل هو
فصفة الخلق من الصفات الذاتية للحق تبارك وتعالى . والتي لا يجوز
نسبها العكس كالعزيز والحي . . إذ لا يصح أن نقول : إن من أسمائه

أو صفاته الذليل أو الميت أو المخلوق . . . فإذا انقضى أله عز وجل مخلوق . . . فيكون سؤالك عن خلق الله عز وجل سؤالاً أحقاً
وكون الإنسان لا يستطيع أن يتخيل ويتصور حقيقة أن الله موجود
غير مخلوق ، فهذا لا يعنى النقاء هذه الحقيقة ، وقد قلنا من قبل : إنه
يجب أن نميز بين وجود الشيء وبين قدرتنا على إدراك وتصوير وجود
هذا الشيء ؛ لأن عدم إدراكنا أو تصورنا لوجود شيء ما ، لا يعنى أن
هذا الشيء غير موجود .

فإذا حدثنا الله عن الملائكة وعن الجنة وعن النار وعن الشياطين ،
فلا بد أن تصدق ليس بالدليل الإيماني فقط المبني على أن الثاقب هو الله
عز وجل ، وإنما لأنه سبحانه وتعالى أعطى الدليل المادي لغير المؤمن به
على أن الغيب موجود ، وإن لم نكن ندرک أو نتصور وجوده . . .
وأعطاه لنا من آياته هذا الكون وما وقع فيه من مذابات .

فإذا أخذنا مثلاً الجراثيم . . . تلك المخلوقات الدقيقة التي نتاجم
جسد الإنسان وتصيبه بالمرض ، هذه الجراثيم التي عاشت مع الإنسان
عمره كله . . . إلا أننا في أول الحياء البشرية وحتى فترة قصيرة لم نكن
نعرف عنها شيئاً . . . ثم تقدم العلم وتوصل العلماء إلى
الميكروسكوبات الإلكترونية التي تكبر حجم الشيء ملايين المرات . . .
فماذا رأينا؟ رأينا عجيباً . . . ميكروبات لها شكل ولها حركة . . . ولها
مباة ولها تغايل وتكاثر . . . ولها طريقة لتغذيتها جسم الإنسان وتصل
إلى الدم ، ولها فاعلات مع كرات الدم .

عالم كجبرولم تمكن نعرف عنه شيئاً . بل كان غيباً عنا منذ مائة سنة . ومع ذلك ومع كونه غيباً عنا . فهل هذا العالم لم يكن موجوداً؟

لا . لقد كان موجوداً يؤدى مبعثه فى الحياة . وكان العلماء فى الماضى يعتقدون أن المرض معناه أن الأرواح الشريرة قد تلصقت بجسد الإنسان . وكانوا يذهبون للمرضى . أو يكبرون أجزاء من أجسادهم حتى تخرج منه الأرواح الشريرة!

ثم تقدم العلم ، واستطعنا أن نرى وبؤية العين هذه الجراثيم ، وهى تتحرك وتتناسل وتخترب وتغارب ، بل استطعنا فى تجاربنا العلمية أن تدخل هذه الجراثيم إلى أجساد الحيوانات ؛ لندرس دورة حياتها وكيفية القضاء عليها . وهكذا أعطانا الله الأدلة المادية على علم أن ما هو غيب عنا موجود ويؤدى مبعثه فى الحياة . - وأن عدم إدراكنا وتصورنا لوجوده لا يعنى عدم هذا الوجود .

فبجسب أن تفكر أيها السائل بين حقيقة أن الله موجود غير مخلوق . وبين كونك لا تستطيع أن تتصور موجوداً غير مخلوق ، فالفوائى التى تحكم حياتك ومعادلاتك الرياضىة والكىمىانية والفيزىائية هى من خلق الله عز وجل . ولا يمكن أن تطبق عليه بحال من الأحوال .

ما هو الاسم الأعظم ؟

إذا قالوا : هو الكبرياء ، فقالوا : إنه ثالث الملك ، وقالوا : هو القبوم ، وقالوا : إنه الاسم الذي إذا دُعي به الحن سبحانه وتعالى أجاب ، وكأنهم يريدون تعريف هذا الاسم ؟ ولكننا نقول : إن الاسم الأعظم لمحق عز وجل هو الاسم الذي حوى جميع كمالات الأسماء صاف . . . إنه لفظ الجلالة (الله) .

ولقد قلنا من قبل : إن الدعاء بالاسماء الحسنى يعنى أن تدعو الله بالاسم الذى يوافق طلبك ، كما أن نقول : يا حكيم هبني حكمة ، يا عزيز أعزني على خلفك .

فإذا قلت : يا الله ، فقد دعوت به عز وجل بجميع صفات الجمال الواجبة لذاته العلية ، والنبي وصف بها نفسه . . . لفظ الجلالة (الله) .

إنه أينما الاسم الذى ليس له مسمى فيه . أى : شريك . . هل شهدت أو سمعت عن أحد سمى ابنه الله ؟ لم يحدث . بل إن الكافرين المحضين على الله عز وجل ، لم يجزئ منهم أحد على فعل ذلك . فالكافر غير متيقن من عدم وجود الله عز وجل ، فيخشى أن يسمي ابنه بلفظ الجلالة فيصيبه مكروه . أو يلقى مصرعه . فالاسم الأعظم إذن هو : (الله) جل جلاله .

أشرنا من قبل إلى صفات مشتركة بين الله عز وجل ومخلوفاته . .
 وفلنا: إنه رغم هذا الاشتراك ، فإن صفاته الحق جل وعلا تظل في
 إطار (ليس كمثله شيء) ، فهو تبارك وتعالى منفرد بجميع صفاته
 حتى تلك التي يتصف بها أحد من خلقه . . فتصفه المخلوق ما هي
 إلا نفحة من صفه الخالق عز وجل . ولا تضاهيها قدراً ولا نوعاً .

إذن: فانفراد الله تبارك وتعالى بجميع صفاته هو القاعدة . حتى
 وإن كانت هناك صفات له جل وعلا موجودة في عبده من
 مخلوفاته . . ولكن ينبغي أن نلاحظ أن هناك صفات لثمة يختص
 بها . ولا توجد في أي من مخلوقاته بأي درجة من الدرجات ، فهي
 صفات له وحده دون سواه .

ومن أمثلة هذه الصفات (الوحدانية) والهيمنة التي أن الله عز وجل
 واحد ليس معه ثاني على وفق صفاته الإلهية الكاملة . لأنه ليس نوع
 نتعدد أجزائه ، فالإنسان مثلاً نوع . . أي : يوجد منه العبد من
 الأفراد تجمعهم وحدة الصفات . وإن كانت صفاتهم تختلف من حيث
 درجة الصفة . ونوع الإنسان ينقسم إلى ذكر وأنثى . وهم بتراوجون
 ويتكاثرون ويتجهون مغايراً من نوعهم نفسه . . وهكذا شأن جميع
 المخلوقات .

أما الحق سبحانه وتعالى فهو ليس فرداً في نوع ، وإنما هو واحد
 ليس له مثل . فما هو بذكر . وما هو بأنثى . وما هو بآب . وما هو
 بأم . وما هو باب . وما هو باحث . وليس لكفوا أحد . وفي ذلك
 يقوله تبارك وتعالى :

﴿ قُلْ عِزُّ اللَّهِ أَحَدٌ ﴾ (١) ، «اللَّهُ الصَّمَدُ» (٢) ، لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفراً أحد (٤) .

ومن الصفات الخاصة التي ينفرد بها عز وجل (الأزلية) . . كما هي الأزلية؟ وماذا نعني بقولنا : إن الله عز وجل أزلي؟

كلمة الأزلي في اللغة تعني : الدائم . .

إذاً : هل الأزلي هو القديم ، وقولنا : إن الله عز وجل قديم يعني أنه تبارك وتعالى بلا بداية . . فكل مخلوق من المخلوقات له تاريخ ميلاد . ولا يشهد عن هذه القاعدة أحد ، وتاريخ ميلاد المخلوق هو تلك اللحظة التي أوجده الله عز وجل فيها .

والبشر بحسبوت هذه اللحظة وفناء للتقسيم المسمى للكرة الأرضية فنقول : إن فلاناً ولد الساعة كذا من يوم كذا من شهر كذا عام كذا ، وهذه القاعدة تنطبق على جميع المخلوقات ، إلا أن البشر فقط - ولما اختصهم به الله تبارك وتعالى من العقل والفهم - هم الذين يهتمون بحساب هذه التاريخ ، ولكن الأمر يختلف بالنسبة لله عز وجل ، لأنه ليس له تاريخ ميلاد ، وهذا يتوافق مع نظريات العقل - لأنه جل وعلا ليس مخلوقاً حتى يظهر إلى الوجود في لحظة معينة . . فهو موجود غيب عن مخلوق ، ضفاً إلى ذلك أن كلمتي البداية والنهاية مرتبطتان بالزمان وتدلان عليه .

فإذا كان الزمان نفسه مخلوقاً من مخلوقاته خاضعاً لأمره . . فكيف يحيط المخلوق بالخالق سبحانه ببداية ونهاية؟ فالجواب سبحانه وتعالى

كان ولم يكن معه شيء على الإطلاق ، ثم خلق الخلق ، وقد قال عز وجل في الحديد المقدس : «كنت كنزاً مخفياً فأرذنت أن أعرفه فخلقت الخلق في عرفوني» .

كما قال انصتفي عليه السلام : «كان الله ، ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في التكرار كل شيء ، وخلق السموات والأرض» .

فالأولية إذن هي وجود الله تبارك وتعالى بلا بداية ، وهي بهذا المعنى لا تنطبق إلا عليه جل وعلا وحده دون غيره من المخلوقات ، فكل مخلوق له بداية محددة ، معلومة كانت أو مجهولة .

ومن المسميات الخاصة بالآية ١٠١ من سورة النور : «من أنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به ناساً من بني آدم ، وهذا يوافق مقتضيات العقل ، فكما قلنا في صفة الأولية : إن البداية والنهاية كلمتان مرتبطتان بالزمان وتدلان عليه ، ثم كيف لا يكون أبدأ بلا نهاية ، ومن أسعاه (الباقى) ؟ قالنا في اسم مشتق من الفعل (عاش) وهو بعث ، عاش .. فحينئذ نقول : مات فلان وبقي فلان ، أي : عاش بعد وفاته ، وما بقي من الشيء هو ما ظل منه موجوداً بعد هلاكه .

ومن ذلك قوله تعالى :

«وَالْباقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ حَيَّةٌ حَتَّىٰ يَأْتِيََ عَذَابُهُنَّ تَوَابًا وَنُفُوسُهُنَّ فِي أَرْوَاحٍ مُّطَهَّرَةٍ .. (البقرة)

[الكهف]

فالأعمال الصالحة فقط هي التي تبقى بعد وفاة صاحِبها . بل وبعد
فناء الكون بأكمله . وقوله تعالى :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيُفْنِي وَجْهَهُ رَبُّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
(٢٧) ﴾ [الرحمن]

أى : سيقضى الوجود بأكمله . وتبقى الذات الإلهية على عهد الحياة
أزلاً وأبداً ، وكيف تكون للخالق نهاية . ومن أسمائه (الوارث) جل
جلاله . . . والوارث اسم مشتق من (ورث) - وورث فلان فلاناً أى :
ملكته أخيراً منها ما كان يملكه الميت قبل وفاته . ومنه قوله تعالى :

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ بَنَاتُهَا الْمَنَاسُ عَلِمْنَا مِنْ مَوْضِعِ الطَّيْرِ
.. (٢٨) ﴾ [النمل]

وقوله تعالى :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهَا فَلَهُمُ الثَّلَاثُ .. (٢٩) ﴾ [النساء]
وأورث زيد يكرأ تبتاً . أى : أدخله فى ملكه وجعله ملكاً له ،
ولا يشترط موت زيد . . . بل إن زيدا هو الذى أورث بكرأ وورثه هذا
الشيء . . . ومنه قوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٠) ﴾ [الرحمن]

أى : تلك الجنة التى ملكتموها بحبة من الله عز وجل . وهذا هو
المعنى الصحيح ؛ لأن الجنة لم تكن ملكاً لأحد قبلهم حتى يرثوها بعد
ممانه ، والارث من (ورث) يقتضى موت المورث . واستمرار الوارث
على قيد الحياة ، ولذا فإن قوله تعالى :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ﴾ (١١) ﴿﴾ [مريم]
 وقوله تعالى :

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٢) ﴿﴾ [الحجر]
 وقوله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٣) ﴿﴾ [آل عمران]

جميع هذه الآيات السابقة تنبئ بفناء الخلق جلي وعلا بعد فناء الكون
 بكل ما فيه من مخلوقات لله عز وجل ، فالأبدية إذن هي بقاء الله عز
 وجل بقاء دائماً بلا نهاية .

ومن الصفات الخاصة أيضاً صفة (الأحادية) . والتي تعنى أن الحق جلّ وعزّ لا ليس (مركباً) أى : ليس له أجزاء ، وهذه الصفة أيضاً تتفق مع مستقيمات الفلّ في الآله الذي له أجزاء بمعنى أن بسببه من على أجزاءه ، وركبها على هيئته - أى : خلفه - كما أن وجوده سبحانه مرتبط بوجود أجزائه وجوداً وعمداً . بالإضافة إلى أن وجود أجزائه له سبب عامه محدوداً بحدود هذه الأجزاء . والله سبحانه وتعالى عرف التحدّد ، هذا فضلاً عن أن الأجزاء تكون من المادة . والمادة مخلوق من مخلوقات الله عز وجل ، فكيف يحل الخالق في أحد مخلوقاته ؟

وجميع المخلوقات مركبة من أجزاء . وهذا يتفق مع كونها مخلوقة من مواد مسبوقة وجودها كالطين والنار أو النور . ومحال أن نجد مخلوقاً غير مركب ! لأن غير المركب واحد فقط . هو الله جلّ جلاله .
ومن الصفات الخاصة أيضاً صفة الثبوتية . والتي تعنى أن الحق جلّ وعزّ لا يفتقر إلى غيره ، ولا يحتاج إلى غيره في قيامه .

ولكن تعريف معنى هذه الصفة انظر إلى أي مخلوق من المخلوقات . . هل تجده معتمداً على نفسه اعتماداً مطلقاً في قيامه واستمراره حيانه ؟

الإجابة واضحة ، ومن أن جميع مخلوقات الله عز وجل قائمة بتوحيده ناولك وتعالى منذ أن خلقها من العدم المطلق وحتى يتسوى أجليها ، فتصعد إلى خالفها وبارئها وتصورها .

جميع المخلوقات - ما علمنا عنها وما لم نعلم - وجدت بإيجاد الله لها ، ولو لم يخلقها لما ظهرت . . ولما صار لها وجود .

وليس ذلك فحسب ، بل إن استمرارية هذه المخلوقات في الحياة متروكة على مقومات حياتها ، والتي هي أيضاً منحة وحيمة من الله عز وجل .

خذ مثلاً : الإنسان . نجد أن الحق تبارك وتعالى قد أعد له هذا الكون الفسيح ، والذي لم يستطع الإنسان إلى يومنا هذا كشفه كل ما انطوى عليه من أسرار . ولم يحط بأطرافه المتراصة ، كما يفيد له جميع مقتومات الحياة التي يحتاج إليها .

الأوكسجين الذي يستخدمه في أكسدة المواد الغذائية ، والماء الذي يمثل معظم تكوينه ولا يحصر لوظائفه في جسم الإنسان ، كما أثبت له من الأرض غذاءه الذي لا حياة له بدونه . وخلق له الشمس التي توفر له الحرارة ، والشمس التي لا بد من وجودها ، فلا تزيد شمس الأرض ، ولا تنقص شمس البرودة ، بل نعم الله لا تحصى . كما قال تعالى :

﴿ وَإِذْ تَعْلَمُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصِيهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل]

فالإنسان فائز تماماً عطفاً بالله عز وجل ، ومثله جميع المخلوقات ، فإذا استقلنا إلى الحق جل وعلا ، هل هو قائم بنفسه أم قام بغيره ؟

فلا شك أن الإجابة واضحة : لأن الله عز وجل لم يسهل آخر حتى يكون الله معتمداً عليه في استمراريته وجوده ، فهو تبارك وتعالى قائم بذاته تباركاً مطلقاً ، لأنه موجود غير مخلوق ، ولا يحتاج إلى غيره لأي وجود ، ولا في بقائه . فلا حاجة له إلى علما أو صواب أو

أخبة . . وقبوسية

هراء أو مؤنس على الوحدة . . فهو فأنم بذاته ، مقبم لغيبه من المخلوقات . ولا شريك له في هذه القبوسية .

ومن الصفات الخاصة كذلك . . أنه عز وجل لا يحل في مكان ، والعلة ساطعة ، وحى أن المكان مخلوق من مخلوقاته ، والخالق لا يحل في مخلوق ، ولذلك يقول جل وعلا :

﴿ وَإِلَهُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَجِدْ رَجْدَ اللَّهِ . . ﴾ (١٦٥) ﴿

[البقرة]

ومن الصفات الخاصة أيضاً . . أن حياته نياوك ونعالي حياة مظلطة لا تنقطع بموت ، كما لا تنقطع بنوم . . فجميع المخلوقات لا بد أن تنال فسطاً من الراحة بعد التعب . . فالإنسان يعمل نهاراً وينام ليلاً أو العكس ، بكل حسب مراقب عمله وراحته . . وهكذا شأن جميع مخلوقات الله تتعب وتستريح ، ننام وتصحو ، ولكن الخالق عز وجل بهر الموصوف بالكمال المطلق لا يتعب فيحتاج إلي راحة ، ولا نجهده البغلة فيحتاج إلى النوم .

وهو كما قال عن نفسه :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ . . ﴾ (٢٥٥) ﴿

[البقرة]

إنه عز وجل لو أخذت سنة من النوم لاحتلت موازين الكون كلها ، وفي ذلك يقول جل وعلا :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ رَأَيْتَ

[فاطر]

﴿ أَمْسِكْتُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ لَمَّا عَقَبُوا ﴾ (٢١٠) ﴿

ومن الصفات التي يختص بها عز وجل صفته الخلق من العدم المطلق . . فقد ذكرنا من قبل أنه تبارك وتعالى لم يخلق على فراغ حقيقة الخلق فأسرعتهم معدة فيها حيثما كان .

﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٠١) ﴿

وحقيقة الأمور أن الإنسان يصنع ولا يخلق ، فهو يصنع معدوماً من موجود ، كالحجار يصنع المقعد من الخشب المقطوع من الشجر . .
 ثم تالفطارة لتفبع من معدن الأرض ، ويستخدم فيها الحديد المسحرج من باطن الأرض ، وهكذا . . فهذه أشياء لم تكن موجودة بالفعل ، ولكنها وجدت من أشياء موجودة .

أما خلق الله عز وجل فيكون من انعدام المطلق ، والعدم المطلق يعني اللاشيء ، فالشيء والخات من لا شيء مادة أو . . مري . . أي أن المخلوق بوجوده أن تكون له سبابة وجود مادية أو معنوية ، فهو مستحدث بكل ما فيه من مكونات ، سواء أكانت مكونات مادية فقط كما في حالة الجماد ، أم مكونات مادية ومعنوية كما في حالة الإنسان مثلاً .

وقوله ذلك يقول جل وعلا :

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٢٠٢) ﴿ [الزمر]

كما يقول عز وجل ،

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَضَعُكُمْ فِي أَسْمَاءٍ مَذْكُورَةٍ﴾ (٢١) ﴿

[الإنسان]

وقد يقول قائل : إن هذه الصفة توجد لدينا بدليل قوله تعالى :

﴿ فَبَارِئُ الدُّنْيَا ۚ وَاللَّهُ الْبَرُّ ۝۱۸ ﴾

فنقول له : إن البر يشتركون مع الحق جل وعلا في صفة الخلق ، نعم ، ولكن حين نقول : الخالق من العدم المطلق ؛ فهنا إذن من صفاته وحده ، والنبي لا يشاركه فيها أحد .

ومن صفاته الخاصة - جل وعلا - أنه يعلم ذاته علماً مطلقاً لأنها يعلم غيره ، فالإنسان وهو أرفى المخلوقات وهو المتميز بالعقل ، ورغم ذلك فهو لا يعلم كل شيء عن ذاته ، فهو بجعل روحه جهلاً تاماً ، رغم أنها مصدر حياته ، وكل ما يعلمه عنها أنها مصدر حياته ، وهو أيضاً لا يعلم عن جسده إلا القليل ، وحتى الأطباء الذين يلعنوا قى هذا العلم فندراً كبيراً لا يعلمون كل شيء عن جسد الإنسان ، ولو لا علم الطب لظل جسم الإنسان مغلفاً غامضاً عليه ، لا يعرف عما يحدث بداخله شيئاً .

أما الحق ببارك وتعالى فهو يحيط بذاته إحاطة شاملة ، فبعلم كل شيء عن نفسه ، يعلم أنه الله الذي لا إله إلا هو ، ويعلم صفاته علماً تاماً ؛ يعلم أنه حي ، ويعلم أنه الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ، ويعلم أنه سميع بصير قادر عالم متكلم رحيم خالق بارئ مصور إلى آخر صفات الكمال الواجبة له عز وجل ، وأنتى وحصل بها نفسه .

ومن صفاته الخاطبة أيضاً أنه (فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ) . . فأنثت فعل ما تريد . . نعم . . ولكن ذلك في حدود قدرتك . - فَعَبٌ نَّكَ أَرَدْتَ الوصول إلى سطح القمر بقفزة قدم واحدة . - فهل يمكنك تحقيق هذه الإرادة؟

بالقطع لن تستطيع ؛ لأن قدرتك أدنى من أن تحقق إرادتك ، بل إن إرادتك نفسها محدودة بحدود محيطتك الكوني . ولكن الأمر مختلف بالنسبة للحق جل وعلا ؛ لأن إرادته ليست محدودة بحدود معينة . . كما أن إرادته نافذة ، فإذا أراد شيئاً فإنه يقوم له . . كمن يبكي .

وفي ذلك يقول عز وجل :

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢١٧) (يس)

فاستحق سبحانه وتعالى بقوله : ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ رغم أن هذا الشيء لم يوجد بعد . . قبل هذا يعني أن هذا الشيء كان له وجود قبل أن يخلفه الله ؟

كلا . . إنما أراد تبارك وتعالى أن يلتفت إلى أن هذا الشيء ما دام أنه أراد خلقه فهو لا محالة مخلوق ؛ لأنه لم ولا ولن يوجد ما يعترف الله عز وجل عن خلق هذا الشيء . . وفي هذا يقول تبارك وتعالى :

﴿إِنَّهُ هُوَ يَدْعُو وَيُعِيدُ﴾ (١٦) وهو الغفور الودود (١٩) ذو العرش المجيد (٢٠) فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ (٢١) [البروج]

ومن المعقولات التابعة لنفساً (الأول . . الآخر) . . فهو عز وجل الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية .

خلق الله... وخلق الإنسان !

ولقد يقول قائل : إن هاتين صفتين تطلقان على البشر ، كأن نقول : إن فلاناً هو الأول على مدرسته أو آخر الناجحين ، فنقول له : لاحظ أنك حددت نوع الأولوية وخصصتها ، فقلت : إنه الأول على مدرسته أو جامعته ، فالتخصص واضح ، ولكن حين نقول : الأول على الإطلاق أو الآخر على الإطلاق ، فإلھما لا ينطبقان إلا على الله عز وجل ولا يشارك فيهما أحد ، وألوية الله أولوية زمنية وألوية رتبة ، فهو أول من حيث الترتيب الزمني . وأول من حيث رتبته كعالي موصوف بكل صفات الكمال المطلق .

ومن هذه الصفات أيضاً : المحيى والمحيى والياعته . ولا بظن أحد أن الله عز وجل يختص بهذه الصفات التي تحدثنا عنها فقط ، لأن صفات الحق تبارك وتعالى غير معلومة لنا بالكامل ، إذ إن هناك أسماء استأثر بها الحق عز وجل في علم الغيب بعد ، وهذه الأسماء تطلق صفات مجهولة بالنسبة لنا ، فقد يكون من بين هذه الصفات صفات أخرى يفرد بها ، هذا فضلاً عن أنه تبارك وتعالى منفرد بجميع صفاته حتى تلك التي أمرنا معه فيها ، فلو أننا علمنا حقيقته العظيمة لدى الله عز وجل ، والصفة عنا ، مخاوفنا ، لقلنا : إن هذه صفة ، وهذه صفة أخرى .

خذ على سبيل المثال صفة وجود الله عز وجل ، ماذا تعنى هذه الصفة ؟

الإنسان له وجود ، ووجوده يبدأ منذ أن خلقه الله عز وجل ، و ينتهى بموته ، ثم يعود إلى الوجود مرة أخرى يوم القيامة ، هذا عن وجود الإنسان .

أما وجود الحق تبارك وتعالى فهو وجود بلا بداية وبلا نهاية . .
 فهي صفة إذنا بمعجز العقل البشري عن تحيلها ، قبل يسترق الوجود
 الحقيق للحق . حل ، علا بالرحمة المحذرة . الآية ٢٠٩
 خذ صفة القدرة ، وتصور أقصى ما استطاع الإنسان أن يتوصل إليه
 بقدرته . . ماذا صنع ؟

طائرة . . صاروخ . . منبارة . . نقل الصوت والصورة . .
 كيف توصل الإنسان إلى كل ما توصل إليه من مخترعات ؟
 لقد توصل إلى ما توصل إليه مستخدماً إمكانياته العقلية
 من خلق عقل الإنسان بكل ما له من قدرة على الابتكار ؟ الحق عز
 وجل هو الذي خلق عقل الإنسان بكامل قدراته .
 لقد انشقت لدينا فجرة الإنسان ، واكتشفنا أنها مجرد صورة من
 صبور قسامة الله عز وجل . . فهل من خلال هذا الفهم يصح لنا أن
 نقول : إنا شركاء لله عز وجل في صفة القدرة ؟

قاله إذن ، انشود بصفة القدرة انشوداً معطفاً رغم « شاورتنا المجازية أو
 اللمسية له في صفة القدرة » ، وهكذا شأن جميع الصفات .
 وإذا كنا قد تحدثنا عن بعض الصفات التي يختص بها تبارك وتعالى
 فذلك لأنه قد أشركنا معه في سائر الصفات . وإن كان هذا الاشراف
 شكلياً كما بينا ، أما الصفات التي دار حولها الحديث فهي صفات له
 « حده حل ، علا ولا يشاء ، كما فيها أحد » لا أي . . بل الحقيقة ،
 ولا على سبيل المحاز .

﴿نور السموات والأرض﴾

النور الإلهي الذي يضيء الدنيا والآخرة . ويضيء القلوب المومنة . . هذا النور أراد الحق عز وجل أن يضرب له مثلاً به يسمى مادي محسوس . فيقول عز وجل :

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِكَ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجْجَةٍ الزُّجْجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

كأن الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نعرف بتشبيهه مضمناً . أن مثل نوره كمشكاة .

والمشكاة هي (الطائفة) . . والطائفة فجوة في الحائط بالبيت الربيعي ونحن نقع المصباح في هذه الطاقة .

إذن ! المصباح ليس في الحجرة كلها . . ولكن نوره مركّز في هذه الطاقة فيكون قوياً في هذا الجزء الضيق . . ولكن المصباح في زجاجة تحفظه من الهواء من كل جانب . . فيكون الضوء أقوى . . صافياً لا دخان فيه . . كما أن الزجاج يعكس الأشعة فيزيد تركيزه . . والزجاجة غير عادية ولكنها كوكب دري . . أي : أنها مضيئة بذاتها وكأنها كوكب . . ونودها من شجرة مباركة يملؤها النور لا شرقية ولا غربية . . أي : يملؤها النور من الوسط ويخرج صافياً . . والزيء مضيء بذاته دون أنه تمسه نار . . فهي نور على نور . . أيكون جزء من هذه المشكاة (الطائفة) عظيماً ؟ أم غليظاً ينور بين العيون ؟

وهذا ليس نور الله تبارك وتعالى عن التشبيه والوصف ، ولكنه مثل
فما استقر . فلم روت عن الأئمة . فكان نوراً مائة من كل ركن وكل
بقعة ولا يترك مكاناً مظلماً . فهو نور على نور .

ولقد أراد أبو تمام أن يمدح الخليفة أحمد بن المعتصم ، وكانت
المعادة أن يشبه الخليفة بالأشخاص البارزين ذوي الصفات الحسنة ،
فقال :

إذا هم عمرو في سماحة حاتم في حليم أحنف في ذكاء إمام

وكل هؤلاء الذين ضرب بهم الساعر المثل كانوا مشهورين بهذه
الصفات . فعمرو كان مشهوراً بالسماحة ، وحاتم كان معروفاً
بالمسماحة والجود . وأحنف ضرب به المثل في الحليم ، وإمام شعلته
في الذكاء .

وهنا قام أحد الحاضرين وقال : الأمير أكبر في كل شيء مما تشبهه
بهم .

فقال أبو تمام على الفور :

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروفاً في الندى والباس

فالله قد ضرب الأفياء لنوره مثلاً من المشكاة والشماس

يقول الحق جل وعلا :

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ رِزَاءٍ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ﴾ [التورى]

يتضح من هذه الآية الكريمة أن رؤية الله لياوك وتعالى مستعنة في الدنيا ، وقد عوفب اليهود حينما قرأوا إيمانهم برؤية الله عز وجل اليهود : . ولنى ذلك يقول ! الحق جل وعلا :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَرَاكَ لَكَ حُجْنٌ لَّيْلَىٰ جَهَنَّمَ فَاخِذْكَ بِهِ الصَّاعِقَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [التورى]

ناب الله عليهم بعد عبادتهم للمعجل ، ولكنهم عادوا مرة أخرى إلى عبادهم وماداتهم . . فيم يصرون على عبادته إله مادى ، إله يرويه ، ولكن الله عز وجل من عظمته أنه غيب لا تدركه الأبصار ، وأقرباً قوله تعالى :

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [التورى]

[الأنعام]

فَكُونُوا لله عز وجل قرف إدراك البشر ، فهذا من عظمته تبارك وتعالى . ولكن اليهود الذين لا يؤمنون إلا بالشئ المادى المحس . . لا تتسع عقولهم ولا قلوبهم إلى أن الله سبحانه وتعالى فوق المادة . وقد فى الأبصار . . وهذه العقدة المادية ثقلة حمقاء . والله تبارك وتعالى قد انشأ إلى قضية رؤيته جهراً في الدنيا بقوله تعالى :

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [التورى]

أى : أن الله جل جلاله وضع ذليل القصة على وجود الله الذى لا تدركه الأصصار . . وضع فى نفس كل واحد منا ، وهى الروح الموجودة فى الجسد . . والإنسان مخلوق من مادة نفخت فيها الروح فحدثت فيها الحياة والحركة والحس ،

إذن : كل ما فى جسدك من حياة - لبس رجعاً إلى المادة التى تراها أمامك . . وإنما يرجع إلى الروح التى لا تستطيع أن تدركها إلا بأثارها . . فإذا خرجت الروح ذهبت الحياة وأصبح الجسد رمه . . فإذا كانت هذه الروح فى جسدك ، وهى التى تعطيك الحياة لا تستطيع أن تدركها مع أنها موجودة داخلك . . فكيف تريد أن تدرك الله سبحانه ونعالى . . كائن يجب أولاً أن نسأل الله عز وجل أن يجعلك تدرك الروح فى جسدك ، ولكن الله تبارك ونعالى أخبرنا أن الروح من أمره .
وافراً قوله جل وعلا :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ

إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا بَدَّيْتُمْ ﴾ (البقرة : ٢١٠)

إذا كانت روحك وهى مخلوقة من مخلوقات الله عز وجل لا تدركها ، فكيف تطمع أن ترى خالقها . . وانظر إلى دفة الأداء للقرآن فى قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ تَرَىٰ إِلَهَكَ بَاسْمَةٍ ۖ وَتَكُونُ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (البقرة : ١١٢)

تكلمة الأنرى تطلق ويؤاد بها العلم مثلاً ، كما فى قوله تعالى :

رؤية الله في الدنيا منتعقة

﴿أَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (١٢٢)

(النار: ١٢٢)

أى : أعلمت . . . ولذلك جاءت كلمة (جيهرة) لتعني العلم فقط ، وتطالب بالرؤية مجهزة واضحة يدركونها بحواسهم ، وهذا دليل على أنهم متمسكون بالمادية ، والتي هي قرام حياتهم ، ، تقول لهم لا : إن موالكم ينسم بالعباءة ؛ لأنكم طلبتم طلباً وأنتم تعلمون أنه محال قبل أن تطلبوه . وكأنكم تطلبون باختباركم أن يحل عليكم غضب وسخط من الله عز وجل .

والذي شجع اليهود على أن يقولوا ما قالوا . . . طلب موسى عليه السلام من الله سبحانه وتعالى أن يراه . . . وانفراً قوله جل وعلا :

﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْهُ فَقَالَ لَا تَنْزِلُ وَلَكِنْ نَظَرْنَا إِلَى الْجَبَلِ فَنَافِثَتْهُ فَجَعَلَهُ دُكَّانًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ (١٢٣)

فلا بد أن نعلم أنه أن فضبه رؤية الله في الدنيا محسومة . . . وأنه لا سبيل إلى ذلك . فالإنسان في جسده البشري . . . له فوائتين في إدراكاته . . . ولكن يوم القيامة سنكون حلقاً جديداً بقوانين تختلف . . . ففي الدنيا لا بد أن نخرج مخلوقات الطعام من أجسادنا . . . وفي الآخرة لا مخلوقات . . . وفي الدنيا يحكمنا الزمن ، وفي الآخرة لا زمن . . . إذ يقتل الإنسان شيئاً دائماً .

إذن : قهناك تغيير . . . المفاينس هنا غير المفاريس يوم القيامة . . . في الدنيا بجسمك وعاداتك لا يمكن أن نرى الله . . . وفي الآخرة يسمح

إعدادك وجسدك بأن يتجلى عليك الله سبحانه ونعالي ، وهذا قمة النعم في الآخرة . أنت الآن تعيش في آثار قدرة الله ، وفي الآخرة تعيش عيشة الناظر إلى الله تبارك ونعالي . وفي ذلك يقول الحق جل وعلا :

﴿ وَجُودُهُ بِرُؤْيَا نَاصِرَةٍ ﴾ (١١) *إلى ربنا ناظرة* (١٢) ﴿ [الفياض]

والإنسان في الدنيا قد اخنوع آلات مكنته من أن يرى ما لا يراه بعينه المجردة ، يرى الأشياء الدنيئة بواسطة «المكبّر» مكروب ، والأشياء البعيدة بواسطة «الفلسكوب» . فإذا كان عمل الإنسان في الدنيا جعله يصر منا لم يكن يصوره . . فما بتلك بقدرة الله في الآخرة ؟

وإذا كان الإنسان عندما يضعف نظره يطلب منه الطبيب استعمال نظارة . . فإذا ذهب إلى طبيب أشدّ مهارة ، أجرى له عملية جراحية في عينه يستغنى بها عن النظارة ويرى بدونها . . فما بالكم بإعداد الحق للمخلوق وبفهمه التي لا حدود لها في أن يعينه ، خلق العين بحيث نستطيع أن نتمعن بوجه الكوثر .

ولنا . . سم الله ببارك ونعالي السائل . . مرر سم ما به السلام بأن أرا . العجز البشري ؟ لأن الجبل بقوته وجبروته لم يستطع احتمال نور الله عز وجل فجعله دكا . .

وكان الله يريد أن يفهم موسى أن الله تبارك ونعالي قد حجب عنه رؤيته رحمة منه ، لأنه إذا كان هذا حدث للعجا ، حتماً تجل عليه الله عز وجل . فماذا كان يمكن أن يحدث بالنفس لموسى إذا كان عليه السلام قد صعد برؤية المتجلي عليه ، فكيف لو رأى المتجلي سبحانه ؟

رؤية الله في الدنيا ممنوعة

يقوم موسى حينما طلبوا أن يروا الله جهرة أخذتهم الصاعقة و بهم
ينظرون ، « الصاعقة امانا » ، اما عذابه تترا .. المم انه نالهم نعمتهم
على طلب رؤية الله عز وجل جهرة في الدنيا ، « هو طلب - كما قلنا -
مرفوض ؟ لأن رؤية الله تبارك وتعالى في الدنيا ممنوعة .

ذكر الله بأسمائه الحسنی

بقول الحق جل وعلا :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ شَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي
مَجْرِبِهَا أَوْ لَكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيًا
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٢٤)﴾ [البقرة]

لقد بين لنا الحق عز وجل موقف اليهود والنصارى والمشركين من
بعضهم البعض ومن الإسلام ، ونبأ أن هذه الطوائف تواجه الإسلام
بعداء ، وبواجه بعضها البعض بآتها مائتة . فكل طائفة منها تنهم
الأخرى بآتها على باطل ، أواد أن يحذرهم نبارك ونعالي من الحرب
ضد الإسلام ومحاربة هذا الدين فقال :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ شَعَ . . . أَسْمَاءَ اللَّهِ تَتَكَبَّرُ فِيهَا . . . (٢٢٤)﴾

[البقرة]

مساجد الله التي تذكر فيها بأسمائه الحسنی والتي لمسجد له فيها . .
والسجود علامة الخضوع . وعلامة العبودية كحمايئة . فأنت تضع
أشرف شيء فيك وهو روحك على الأرض . خضوعاً لله وحده .

فبلى الإسلام كان لا يمكن أن يصلي أتباع أي دين إلا في مكان
خاص بدينهم . مكان مخصص لا تحوي الصلاة إلا فيه . ثم جاء الله
بالإسلام فجعل الأرض كلها مسجداً . وجعلها طيبوراً . وذلك
توسيع على عباده الله في مكان التقائهم بربهم . وفي أماكن عبادتهم
له . حتى يمكن أن يلتقي بالله في أي مكان وفي أي زمان .

ذكر الله باسمائه العسنى

إنه سبحانه لا يحدد لك مكاناً معيناً لا تنصح الصلاة إلا فيه . .
وأنت إذا أردت أن تصلي ركعة : من الله وخلافة ، أذ مرض ، مثل صلاة
الشكر أو صلاة الاستخارة أو صلاة الخوف ، أو أي صلاة من السنن
التي نظمها لنا رسول الله ﷺ ، فإنك تستطيع أن تؤديها في أي وقت ،
فكانت تلتفي بالله سبحانه وتعالى أين ومنى تحب .

فأنت سبحانه وتعالى قد وسع من دائرة الشكائه سبحانه .

ورسول الله ﷺ يقول : « أعطيت خمسا لم يعطين أحد من الأنبياء
قبلى : تُسبِّحون بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً
وطهوراً . . فأبصر رجلاً أدركته الصلاة فلبس . . » وأحلت لي الغنائم ،
ولم تحل لأحد من قبلي . . وأعطيت النبؤة ، وكان النبي يُبعث إلى
قومه خاصة ويُبعث إلى الناس عامة .

ولكن لماذا خص الله عز وجل أمة محمد بهذه النعمة ؟

لقد خصهم بها ! لأن الإسلام جاء على موعد مع ارتفاع العقول
وطموحات البشر . . كلما انفس العقل في علوم الدنيا كشف قوانين
وتغلب على عفتيات . . وجاء مبتكرات ومخترعات تُثبت عقول
الناس . . وتحذيرهم بعباءة الدين ، فيبدون الأسباب بدلاً من خالق
الأسباب .

وبدا الخبز ناولك ونعالم أن يجعل عبادتهم له ميسرة دائماً حتى
بعضهم من هذه الفئة . . فإذا وجبت عليك صلاة فطر وقفة ،
أو أردت أن تصلي ركعتين لله عز وجل شكراً على نعمة أنعم بها

عليك ، أو استخارة له في أمر من الأمور ، أو غير ذلك ، فتصلي في المكان الذي أنت فيه ؛ لأن الأرض صارت لنا مسجداً ومطهراً . فلا تضطر إلى أن تذهب إلى مكان يعبد أو انظر إلى شيء شاق ، فيسبك هذا شكر الله والسجود له .

ولقد تحدث الحق جل وعلا عن المساجد في آية أخرى ، فقال :

﴿ وَاللَّهُ أَرَادَ السَّمَرَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلَ نَوْرِهِ كَمِثْقَا ذَرَّةٍ فِي بَصَاحٍ الْمُبَصَّاحِ فِي زُجَاجَةٍ زُجَاجَةٍ كَانَتْهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٤) ﴾ في يسوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . .

[النور] (٢٤)

ما هي هذه البيوت التي يرى فيها الناس نور الله تبارك وتعالى ؟

إنها المساجد . . فعشار المساجد وزواجرها المشايخ على الصلاة فيها هم الذين يرون نور الله . . فإذا جاء قوم يجترئون عليها ؛ ويعنعون ذكر اسم الله فيها ، فمعنى ذلك أن المؤمنين الفاسقين على هذه المساجد ضلعاء الإيمان فنجراً عليهم أعداؤهم . . ولما كانوا أفرقاء ما كان يجزئ عندهم على أن يسمع ذكر اسم الله في مساجد الله . . أو أن يسعى في حرايمها فيهدم ولا تقام فيها صلاة .

وقول الحق سبحانه وتعالى :

ذكر الله باسمائه الحسنين

﴿أَوَلَيْكَ مَا كَانَتْ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ . . . (١١٣) ﴿﴾ [البقرة]

أمر : ألا يدخلوها إلا خائفين . أي : أن يدخلوها في المسجدين . فإذا كانوا
أن يغتلك بهم المؤمنون من أصحاب المسجد والمصلين فيه . . فإذا كانوا
قد دخلوا خائفين ، فمعنى ذلك أن وانزع الإيمان في نفوس
المؤمنين قد ضعفت .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ . معناه : لا يوجد أحد أظلم من
ذلك الذي يمنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه . . فهذا هو الظلم
العظيم .

وقوله تعالى : ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ أي : في إزالتها أو بفتاتها عبر
صالحه لأداء العبادة . .

ويحذف الحق سبحانه وتعالى جزاء هؤلاء في خضام الآية القرآنية
فبقوله جل وعلا :

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ . . (١١٤) ﴿﴾ [البقرة]

أي : لن يتركهم الله في الدنيا ولا في الآخرة . . بل بسببهم في
الدنيا خزي . . والخزي هو السوء القبيح الذي تذكره أن يراك الناس
عليه . . وهذا يوضح مدى غيرة الله عز وجل على بيوته .

ونظير إلى ما أذاقه الله لبيد المدينة الذين شاكوا يسعون في خراب
مساجد الله . . فقد أخذت أموالهم وطردوا عن ديارهم .

أما في الآخرة فإن أعداء الله سبحانه سيؤنّ حجاباً عسيراً ليطاولهم على مساجد الله ، وإيضاً هؤلاء المشركون إلى الإسلام الذين مكثوا على هذا ، ونحاذلوا عن نصرته ، دين الله والدفع عن بيوته ، معبكون لهم عذاب اليم على ما قصروا في حق الله تبارك وتعالى ، وفي حق بيوته التي يذكّر فيها اسمه .

وإذا تأملت الآيتين السابقتين تجد أن الله عز وجل قد احتار من بين صور العبادة (ذكر اسم الله) رغم أن عبادة الله في المسجد متنوعة ، فتحتن نقف ونركع ونسجد ونقرأ القرآن وغير ذلك كثير . فحين يختار الله عز وجل من بين هذه العصور (ذكر اسم الله) فهذا ثقت إلى أحبة وقيمة ذكره باسمائه الحسنی . . فقد قال تبارك وتعالى :

﴿ وَمَنِ اطَّلَعُ مِنْ مَنَحِ مَسْجِدِ اللَّهِ أَنْ يُذَكِّرَ فِيهَا اسْمَهُ . . (١١٤) ﴾ [الشّرق]

كما قال :

﴿ عَلَى بَيوتِ أَذُنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ . . (١١٥) ﴾ [التّوب]

والحق جلّاً وعلا لم يحده أي اسم من أسمائه الحسنی في أيّ من الآيتين الكرّ بمنين . فكلّمة اسم في الآيتين قد وردت عامة ، فنشمل جميع أسماء الله الحسنی .

كما أن تشديد العقاب على هؤلاء الذين يسعون إلى خراب المساجد وإلى منع اسم الله من الانطلاق من أفواه المؤمنين لهم خير دليل على أن الحق جلّ وعلا يحب أن تذكّره بأسمائه الحسنی ، وإنه عز وجل شديد العقاب لمن أراد أن يمنع هذا الذّكر في أيّ بيت من بيوته الطاهرة .

الله .. قس كل مكان

الحق سبحانه وتعالى لا يختص بمكان .. لأنه لا يحل في مكان ..
إذ كيف يحل مكان ، والمكان مخلوق من مخلقه فانه عب وجن .. وحال
بجور أن يحل الخالق في المخلوق ، وقد كان الخالق ، ولم يكن هناك
مخلوق على الإطلاق ، وفي هذا بقول تبارك وتعالى :

﴿ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشِمُّ وَجْهِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴾ (١٦٥) .

فهو سبحانه وتعالى موجود في كل مكان دون أن يحل في مكانه ،
فأينما كنتم ستجدون الله فُيلاً عليكم بالتجليات ..

وقوله تعالى : ﴿ فَشِمُّ وَجْهِ اللَّهِ .. ﴾ (١٦٥) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .. ﴾ (١٦٥) .

أى : لا تضيقوا بمكان التمازى لكم بربكم .. لأن الله واسع موجود
في كل مكان في هذا الكون ، وفي خارج هذا الكون ،
فإذا قال تبارك وتعالى :

﴿ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ .. ﴾ (١٦٥) .

فهذا لا يعنى تحديد جهة المشرق أو جهة المغرب فقط ، ولكنه
يشهدنا إلى كل الجهات شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ..
والشمال الشرقي والجنوب الغربي ، وكل جهة تبعد إليها ،

ولكن لماذا ذكرت الآية المشرق والمغرب فقط ؟

لأن كل الجهات تتحدد بنسوف الشمس وغروبها . . فيمناك شمال شرقي : وجنوب شرقي ، وشمال غربي ، وجنوب غربي . . كما أن الشرق والغرب يعرفان بالفطرة عند الناس ، فلا نجد أحداً يجهل من أين تشرق الشمس ولا أين تغرب . . قالت كل يوم ترى شروقاً وترى غروباً .

الله سبحانه وتعالى حين يقول : ﴿ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ ۝ ١٦٥ ﴾ [البقرة]

ليس معناها حصر الملكية لهاتين الجهتين ، ولكنه ما يُعرف بالاختصاص بالتقديم . . كما تقول : بالقلم كتبت ، وبالسيارة أمت . . أي : أن الكتابة خصوص القلم ، والإيمان خصوص السيارة . . وهذا ما يُعرف بالاختصاص . . فهذا مختص بكذا ، وليس لغيره شيء فيه .

ولذلك فإن معنى : ﴿ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ ۝ ١٦٥ ﴾ . . أن الملكية لله سبحانه ، تعالى لا يشاء كه فعلاً أحد . .

وتفسير القبة من بيت المقدس إلى الكعبة ليس معناه أن الله يبارك وتعالى كان في بيت المقدس ، ثم انتقل إلى الكعبة !!

إن توحيد القبة ليس معناه أكثر من أن يكون للمسلمين اتجاه واحد في الصلاة . . وذلك تدوير على توحيد الهدف . . فيجب أن تفرق بين اتجاه في الصلاة ، واتجاه في غير الصلاة .

الله .. في كل مكان

الاتجاه في الصلاة يعني أن نتجه جميعاً إلى مكان محدد اختاره الله لنا لتوجهه في الصلاة ، فالناس فر جميع أنحاء العالم تتجه إلى الكعبة . . والكعبة مكان واحد لا يتغير . وإن كان اتجاهنا إليها هو الذي يتغير ، فواحد متجه شمالاً ، وواحد متجه جنوباً ، وواحد متجه شرقاً ، وواحد متجه غرباً . . كل منا يتجه اتجاهاً مختلفاً حسب البقعة التي يوجد عليها من الأرض . . ولكننا جميعاً نتجه إلى الكعبة ، فرغم اختلاف وجهائنا إلا أننا لفتنا على غاية واحدة ، وجهه واحدة . . الكعبة .

الله جل جلاله يريدنا أن نعرف أننا إذا قلنا : (والله المشرق) فلا نظن أن المشرق باتجاه واحد ، لأن كل مكان في الأرض له مشرق وله مغرب . . فإذا افرقت الشمس في . . مكان ثانياً غرب في . . مكان آخر . . فشرق عندنا وغرب عند غيري . . وبعد ثمانية شروق عند قوم وغرب عند قوم . . فالشرق والغرب لا يتغيران من علي سطح الكرة الأرضية . .

وبذلك شمل قولنا : (المشرق والغرب) جميع الاتجاهات التي يمكن أن ينظر إليها الإنسان . .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة]

أي : يتسع لكل ملكه ، لا يشغله شيء عن شيء ، ولذلك عندما سأل الإمام علي كرم الله وجهه : كيف يحاسب الله الناس جميعاً ؟ ردت واحدة قال : كما يبرز فيهم جميعاً في وقت واحد . . لأن عهده سبحانه وتعالى : «كن فيكون» .

علاقة الله عز وجل بالكون هي علاقة الخالق بالمخلوق ، العابد بالمعبد .. بقوله الحق تبارك وتعالى :

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾ (٥١) [الأنبياء]

كما قال في الحديث القدسي :

«كنتُ كترًا مخفياً فأردت أن أعرف ، فخلقتُ الخلق في عروفي»

ولا تعارض بين الآية الكريمة والحديث القدسي ؛ لأن العبادة تنزل من قبل أي شيء معرفة الله عز وجل حق المعرفة .

فالحق تبارك وتعالى هو الخالق الموصوف بصفات الكمالات المطلقة ، والكون مخلوق له ، والله جل وعلا هو المعبود الوحيد المستحق للعبادة . والكون بكل ما فيه عابد مسبح بلا انقطاع ، الإنسان عابد ، والحيوان عابد ، والجمادات عابد ، واللائكة وغيرهم من المخلوقات - ما علمنا منها وما لم نعلم - عابدون .

ومن هذه المخلوقات ما هو مظهر على العبادة - ومنها ما أعطي حرية الاختيار في أن يعبد أو لا يعبد ، أن يطيع أو يعصى ،

وينبغي أن نلاحظ أن الذين يعبدون الله مظهرين على العبادة هم الذين اختاروا ذلك ، والذين تحمّلوا الأمانة : فصار المجال مفتوحاً لهم أن يطيعوا أو يعصوا . هم أيضاً الذين اختاروا ذلك ؛ لأن الله تبارك وتعالى خلقهم كونه كله على أساس الاختيار . ولكن جنالك من اختاروا مرة واحدة .. فاختاروا أنه يكونوا مظهرين .. وهنالك من اختاروا أنه

يعطيهم الله عز وجل الاختيار المتعدد ، بحيث أصبح لكل منهم اختيار حر من الطاعة والمعصية طوال فترة حياته الدنيوية .

هناك الملائكة وهم يسبحون الله بالليل والنهار ، ولا يحصون الله بما أمرهم ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢١) [الأنبياء]

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٢٢) [الفرج]

الملائكة هم الذين يؤكل الله سبحانه وتعالى إليهم ما يشاء في كونه ، فكل شيء في الكون موجود في ملك حسيبها يشاء الله جل جلاله .. منهم حملة العرش ، والملائكة المفرمون إليه بجلاله وتعالى .
والمعاليق ، وملائكة الموت ، والملائكة المكتفون بالإيمان كما لحفظه الكرام ، والذين يكتبون ما يفعل البشر من أعمال وقيامهم وغيرهم .

فكل اجناس الكون قد اختاروا القهر ، وصارت مقبولة باختيارها ما لا يرضى واليس : ﴿لَا تَرَاهُ لَهَا لَئِنْ جَاءَ رَعَا﴾

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٢٣) [الأحزاب]

نعرف أن السموات والأرض والجبال وغيرها من المخلوقات عرفت عليها الأمانة أو حرية الاختيار ، عرفت عليها أن تكون

مختارة قادرة على الطاعة وفادرة على المعصية . . ولكن أجناس الكيون
ما عدا الإنس والجن رفضت الاختيار وقالت : يا رب ، لا نغفد على
أنفسنا . . ولا نغفد على حمل الأمانة ؛ فاجعلنا يا رب مثيوريين .

ولولا أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بهذا في كتابه العزيز . . لما عرفنا
أن الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال وغيرها ، وأنهم
اختاروا أن يكونوا مثيرين . . ورفضوا حمل الأمانة التي حملها
الإنسك .

ولكن ما على الأمانة ؟

الأمانة هي أن تأمنك إنسان على شيء يودعه عندك ، وترد له
عندما يطلبه بشرط ألا يكون هناك شيء مكشوب . . أو شهادة من
الناس على أنه قد أودع عندك شيئاً . . فإذا أعطاك إنسان مثلاً ألف
جنيه وأخذ إيصالاً أو شيكاً أو كمبيالة بالمبلغ ، فهذا لا يعتبر أمانة ،
وإنما يكون إيداعاً عليه دليل . . وإذا أعطاك هذا الشخص هذا المبلغ ،
ثم أشهد عدداً من الناس عليك ، فإن هذا لا يعتبر أمانة . . ولكنه إيداع
عليه شهود . . أما إذا حدث هذا بينك وبينه دون شهود أو دليل فهذا
هي الأمانة . . والله تبارك وتعالى . . قال : يا أيها الذين آمنوا
والأرض والجبال ، ولكنهن أقيمت . . لماذا ؟

لأنها أحسّت بعدم قدرتها على الأداء ، ذلك أنه إذا أودع عندك
شخص مبلغاً من المال كمأمانة . . قد تصادفك ظروف صعبة . . فتعجز
بذلك إليه . . وتأخذ منه على أمل أن ترد . . وقد تنصرف في المبلغ
كله . . وأنت تعشف أنك ساعه الأداء فاجد على رده . . ثم يأتي وقت
الأداء فلا تجد المال . . وتكون قد ضيعت الأمانة .

ولكن الإنسان قبل أن يحمل الأمانة . . صوّر له عقله أنه قادر على
أشياء كثيرة ، واحدة منها ، أن يترك جميع أنواع العبادة لله . . .
حتى الله سبحانه وتعالى في الصلاة والشكر والعبادة وكل ما كلّفه الله
به . . . وعندما بدأ الرحلة ، وهي الحياة الدنيوية ، انخرط الشيطان فامتطى في
المعصية . . . وأشرك بالله ثم عبد الأحنجار والشمس والقمر والنجوم
والخمران ، الإنسان ، غلب ذلك فتأضع الأمانة . . . وعندما جاء الموت
وهو وقت الأداء . . . فابل الله ، ولم يقطع أن يردى الأمانة التي
حفظها .

إذن : السموات والأرض والجبال وغيرها من المخلوقات التي نظن
أنها حادّة لا تموت ، اتضح أنها حياء خاصة ، وإذا كنا لا نند كما
أول نشعر بها ، ولها عبادة وتسبيح لا ينفعل ، وإن كنا لا نعلم هذا
التسبيح . . . وقد أراد الحق جل وعلا أن يترك لنا هذه الحقيقة ، فقال
تعالى :

﴿ رُحِ الْوُجُوهَ فِي السَّمَاءِ رَاوِي وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)

[الحقيد]

وكرر معنى هذه الآية في سورة الصف :

﴿ سُبْحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[الحقيد]

(١)

كما كررها في سورة الحشر :

سَخَّ لَدُنَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

١٧٠

(١٧)

والآية تُعَبِّدُ الْعَبْدَ وَالْمُسْمُولَ ، فَكُلُّ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَسْبُحُ لِلَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ نَارِيلٌ ، وَتُجَدُّ مِنْ يَقُولُ لَنَا :
إِنَّ الْمُسَبِّحِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هُمُ الْفَكَائِتَاتُ الْعَاقِلَةُ فَقَطْ . . . قَطْعُ
الْحَقِّ جَلٍّ وَعِلَّا الثَّلَاثُ بِالْيَقِينِ . . . فَغَالِ نَعَالِي :

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ

حَلِيمًا عَفُورًا . . . (١٨) ﴿

فَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ إِلَّا وَيَسْبُحُ لِلَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ . . . حَبِوَانٍ . . . نَبَاتٍ . . .
جَمَادٍ . . . جَمِيعُ الْخَلُوقَاتِ لَا تَقْطَعُ عَنْ السَّبِّحِ ، الْكَوْنُ كُلُّهُ مَخْلُوقٌ
عَائِدٌ ، يُقَرُّ بِالْفَضْلِ لِهَذَا الْخَالِقِ الْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمَظْلُوقِ ،
وَالَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ حِينَئِذَا أَرَادَهُ مِنَ الْعَبْدِ الْمَظْلُوقِ . . . وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ حِينَئِذَا
وَفَرَ لَهُ مَقْرُمَاتِ الْحُبِّ الَّتِي لَا يَحْبَابُ يَدُونُهَا .

وَمِنْهُ الدِّبَاءُ لَا تُشْعِنُ نَسَاءُ لَهُ سِرٌّ بَلَى . فَلَا حِلَّاءَ سَاغِيَةٍ فِي
مَلَكِهِ . وَلَا مَعْصِيَتَا تَقْصُرُ مِنْ شَأْنِهِ ، فَهِيَ الْغَنَى عَنِ عِبَادَةِ الْكَوْنِ .
بَلْ هُوَ الْغَنَى عَنِ وُجُودِ الْكَوْنِ بِأَكْمَلِهِ . . . يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

يُيَسِّئُهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٩) إِنَّ

يَسًّا بِذُنُوبِكُمْ وَبَيِّنَاتٍ بِحَقِّهِ جَذِيلَةٍ (٢٠) وَمَا ذَلِكُ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢١) ﴿

[فاطر]

كما أن هذه العبادة ليست إذلالاً ومتناً على العباد . وإنما هي أوامر
« نداء » الغرض منها الوصول بالإنسان إلى الله . النفس . والبدن .
الذي يتناسب مع كونه خليفة الله في أرضه . ويتناسب مع كونه
المختص بالعقل دون سائر المخلوقات .

وفهم العلاقة بين الله عز وجل والكون على أنها علاقة خالق
بالمخلوق . والعائد بالمعروف الفهم الصحيح الذي يتسجم مع الفطرة
البشرية . فإذا وجدت من يحاول العبث بهذه العلاقة بأن يحولها عن
وضعها الصحيح فاعلم أنه : إما جاهل وإما ذو فطرة مريضة . فالدنيا
لها أهل . . وأهلها دوماً يلهثون خلف الشهوات . . فأعينهم لا ترى إلا
المناسب ومصادر الثراء وغيب عما عن مطالب الدنيا . . ويمثل هؤلاء
بحرفون الكلام عن مواضعه دون أن يهتم لهم ضمير .

وهؤلاء لم ينقلوا على مر التاريخ . . فمنهم من جعل الله
أنداداً . . ومنهم من جعلوا له شركاء . . ومنهم من جعلوا له أولاداً . .
كل هذه صور لمن أرادوا العبث بحقيقة العلاقة بين الخالق والمخلوق . .
العباد والمعبود .

الزمن أيضاً .. مخلوق

ذكرنا فيما سبق أن علاقة الله عز وجل بالكون هي علاقة الخالق - الموصوف بالكمال المطلق - بالمخلوق .. علاقة العابد بالمعبود .. فما موقف الزمن من هذه العلاقة؟

ظن البعض أن الزمن له وجود أزلي كوجود الله ، وأنه حقيقة غير مخلوقة ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى :

﴿... وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّنْهُ تَعَدُّونَ ﴾ [الحج ٢٢]

فتخيلوا أن الله عز وجل له زمن خاص به ، وإن كان يختلف عن الزمان الخاص بنا من حيث المقدار .. فكان الزمن حقيقة لها وجودها مع الله منذ الأزل .

وهؤلاء يقول لهم : لقد أسلمتم في فهم الآية ، ولو كان هذا هو المعنى المقصود لكان هناك تعارض بين الآية السابقة وبين قوله تعالى :

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ

﴾ [المعارج ٢٤]

وبالفعل حاول المشركون استغلال هاتين الآيتين ، في الادعاء بأن هناك تناقضاً في القرآن الكريم . إذ كيف يكون اليوم ألف سنة ، ويكون في نفس الوقت خمسين ألف سنة؟

نقول لهم : أنتم لم تفهموا اللفظة الإيمانية الكبيرة في هاتين الآيتين . فإله سبحانه وتعالى يريدنا أن نفهم أنه خالق الزمن ، يخلق لكل حدث ما يناسبه ، فإذا أراد يوماً مدته ألف عام خلقه . وإذا أراد

الزمن أيضاً .. مخلوق

بوماً مدته مليون سنة خلفه . . فليس هناك فjord على قدره الله جل جلاله .

إن الله تبارك وتعالى قد شاء أن يكون اليوم في الأرض أربعاً وعشرين ساعة ؛ ليناسب ذلك حياة الناس «علاقاتهم ؛ لأن الجنس البشري يناله التعب بعد ساعات . . فالإنسان لا يستطيع أن يعمل أكثر من ثمانى ساعات أو عشر ، ثم بعد ذلك يصح محتاجاً إلى الراحة ، لينتطيع أن يجد نشاطه ويبدأ العمل من جديد .

حتى أولئك الذين يعملون أربعاً وعشرين ساعة متواصلة لا يستطيعون تحدي طبيعة الخلق . . بل نحتاجهم محتاجين للنوم أربعاً وعشرين ساعة . .

إن الله سبحانه وتعالى - وهو الخالق الإنسان وصانعه - جعل له ليلاً يوازى عدد ساعات حاجته إلى الراحة ويزيد قليلاً . . وجعل له نهاراً يوازى عدد ساعات حاجته إلى الراحة ويزيد قليلاً .

وهكذا ترى أنه مخلوق الليل والنهار . . مناسب لقدرة الإنسان على العمل وحاجته إلى الراحة . . فكأن من غام كمال الخلق لتحديد عدد ساعات الليل والنهار بأربع وعشرين ساعة .

ولكن إذا كان من غام الخلق أن يخلق الله سبحانه وتعالى بوماً مفرداً ألف سنة ، فإِنَّه جل جلاله بخلفه ويوجد بكلمة (كن) حتى يناسب ذلك اليوم المهام التي تخلق من أجلها . . والأحداث التي ستقع

فيه ، فإذا كنا محتاجين إلى فترة زمنية نستغرق أحداثاً نحتاج إلى يوم مقداره خمسون ألف سنة ، خلق الله تبارك وتعالى لها يوماً بمقداره خمسون ألف سنة . فإن كنا محتاجين إلى مليون سنة من الأحداث .. خلق لنا الحق جل وعلا اليوم الذي يسعها . . بحيث يستمر اليوم مليون سنة .

أحصى الشيء في اللغة أى : عُدَّه ، ولكن الحق جل وعلا استخدم هذا الفعل بمعنى أكثر اتساعاً . فلم يستخدمه بمعنى العَدْقُطْ ، وإنما بمعنى العُدْمُعِ الحِفْظُ والإدراك لفردات المعداد . . . ويتضح ذلك من قوله تعالى :

﴿يَوْمَ يَعْشِيهِمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَمْثِلُوا أَصْحَابَ اللَّهِ وَمَنْ سَوَّاهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة]

ف نجد أن الإحصاء في هذه الآية يشمل العدد ، كما يشمل مقابله التبيان وهو الحفظ . .

أى : أن الله عز وجل فد عده عملهم أعمالهم وحفظها فلم ينس شيئاً . . كما استخدم الحق تبارك وتعالى هذا الفعل بمعنى العيد والإدراك المعداد ، كما نرى قوله جل وعلا :

﴿لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف]

فهو لا يحصر ويمد كل شيء فقط ، بل يحصره ويعده ، وهو مدرك لكميئته وقدره . . فهذه صغيرة وهذه كبيرة ، وهذه توابعها كلها ، وهذه إثمها كلها . . وهذه قوله تعالى :

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصِيهَا﴾ [البقرة]

فنعمة الله تبارك وتعالى لا تُحصى : لأنكم وإن أحصيتُمها عدداً . . وهذا مستحيل - فإنكم لن تستطيعوا تقديرها حق قدرها . . فأنتم لا تعلمون حقيقة هذه النعمة كما يعلمها الحق جل وعلا . . فإذا عدنا

إلى حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام : «إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مَنْ أحصاها دخل الجنة» .

ونسأل عن معنى إحصاء الأسماء الحسنى في هذا الحديث ؟؟

فإننا نقول : إن إحصاء الأسماء الحسنى يعنى حفظها مع فهم معناها والنخلق بأدائها . . فوجب على كل مسلم أن ينخلق بخلق الرحمة فكون غوثاً للضعيف والمريض والصغير وكل ذي حاجة . . وأن يكون مصدر سلم لكل من حوله ، فلا يكون سبباً لإثارة المشاكل والفتن بين الناس . . وأن يكون مصدر أمن لهم من كل فرع . . وأن يكون عدلاً في كل أفعاله وأحكامه . . وأن يكون حليماً كريماً يجرود قدر ما استطاع على الفقراء والمساكين . . وأن يعفو عن ظلمه ويذفع المنيعة بالحسنة . . وأن يكون نافعا لغيره كلفعه لنفسه . . وأن يكون معبئاً للناس على نهج طريق الهداية . . وأن ينحلي بالصبر على الجد والبلاء . . فوجب على المسلم ألا يترك صفته من صفات الحق جل وعلا يمكن له أن ينخلق بها إلا فعل قدر استطاعته .

أَسْمَاءُ اللَّهِ تَوْقِيفِيَّةٌ

أَسْمَاءُ اللَّهِ تَوْقِيفِيَّةٌ لَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِيهَا وَقَدْ بَسَّطَهَا الْعَقْلُ الرَّاقِي ؛
لأنَّ الله : الرَّقَّ - من كل تَوْقِيفٍ - رَأَى الْجِلْدَ - الْكَامِلَ مِنَ الْجِلَالِ .

من هذا المنطلق أن يعلم العقل أن الكمال كامنٌ في الكمال ،
والجلال كامنٌ في الجليل .

وعلى كُلِّ فَيُجِيبُ الْوُفُوفُ فِيهَا عَلَى مَا جَاءَ مِنَ الْكُتَابِ وَالسُّنَنِ ،
مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى .

وَلَا تَفُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ
كَانَ عَنْهُ مُسْرُولًا ﴿٢٥﴾ [الإسراء]

وَيَقْتَضِي الْإِيمَانُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى الْإِبْرَاهِيمَ بِالْأَسْمِ ، وَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ
مِنَ الْمَعْنَى وَالِاتِّعَالِ بِهَا ، وَالتَّخَلُّقُ بِأَحْلَاقِهَا ، فَتُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ
ذَوُ رَحْمَةٍ ، وَرَحْمَتُهُ وَتَمَعَّتْ كُلُّ شَيْءٍ ، فَذِيرُ ذُو قُدْرَةٍ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ .

غَفُورٌ ذُو مَغْفِرَةٍ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَيَعْقِرُ عَنِ السَّيِّئَاتِ .
وهذه الأسماء ، منها : ما يرجع إلى نفس الذات ، كقولك : ذات
ووجود رُئِيَ .

ومنها : ما يرجع إلى صفات المعاني كالعليم والقدير والسميع .

والثالث : ما يرجع إلى أفعاله تحيّر الخلق والشرائع .

والرابع : ما يرجع إلى التنزيه كالقدوس والسلام .

أسماء الله توقيفية

والخامس : ما يدل على جملة أوصاف مثل المجيد والعظيم والصمد ، فإن المجيد من انصف بصفات متعددة من صفات الكمال فإنه موضوع للعدة والكثرة والزيادة .

ومنه : رب العرش المجيد صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه ،
بالتأمل قد نسأل أنفسنا سؤالا : كيف جاء هذا الاسم بطلب الصلاة
على رسوله ؟

إنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء وكثرة دوائه .

السادس : صفة تحصل من اتزان أحد الاسمين والوصفين
بالأخر ، وذلك قدر زائد على مقترنيهما مثل : الغني - الحميد - العفو .
الفدير - المجيد . وهكذا عامة الصفات المنزقة والأسماء المزدوجة
في القرآن . فإن الغنى صفة كمال . والحمد كذلك ، واجتماع الغنى
مع الحميد كمال أشير إليه ثناء من غناه ، وثناء من حمده ، وثناء من
اجتماعهما .

وكذلك العفو الفدير ، والحمد المجيد ، والعزير الحكيم .

أما صفات السلب فلا تدخل في أوصافه تعالى : إلا أن تكون
مشتملة لشبوت كالأحد المنظم الضوادة بالسويبة ، والألوية ،
والسلام المنظم لبيادته من كل نقص .

والأسماء الحسنى دلالات : دلالة مطابقة إذا نُسبنا الاسم بجميع
مدلوله ، ودلالة تضمن إذا قرئناه ببعض مدلوله . ودلالة التزام إذا
استدلنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها .

أسماء الله توقيفية

فمثلاً : الرحمن دلالة على الرحمة ، والذات دلالة مطابقة ،
وعلى أحدهما دلالة تفرغ عن لاء المنة في الله - ن - ، وهما ذاتي
الأسماء التي لا توجد الرحمة إلا بشيئها ، كاختياري العلم والإرادة
والقدرة ونحوها .

ودلالة التزام ، وهذه الأخيرة تحتاج إلى قوة فكر ونأمل ، فالطريق
إلى معرفتها يحتاج إلى فهم اللفظ وما يؤول إليه من المعاني فتتفعل به .
والانفعال به توحيد ، وفي توحده فكر ، وفي الفكر ذكر ، ولذكر الله
أكبر .

يقول ابن القيم ، وهو من أهل المعارف عن قوله الحق :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧٨٠) [الأعراف]

والإلحاد في أسماءه وإلحاد أوليائها وبحقائقها ومعانيها عن الحق
الثابت لها . . وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه ما دونه « لحد » فبسته
اللمحد ، وهو الشق في جانب الفجر ، ومنه الملحد في الدين المائل عن
الحق .

فالعريب كانت تسمى الأصنام الإلات من الأوثان ، العزى من
العزير ، وتسميتهم الضمن إليها ، وهذا إلحاد فإنهم عدلوا بأسمائه إلى
أوثانهم الباطلة .

وفي قول اليهود :

﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ

كَيْفَ يَشَاءُ...﴾ (٢٠١) ﴿

وفي قولهم:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَخِيرٌ وَكَرِيمٌ﴾ (٢٨١) ﴿

[آل عمران: ٢٨]

وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته ، ومنها تشبيه صفاته بصفات خلقه ، فنكّل هذا إلحاد وميل عن الاشتقاق .

بقول الحق سبحانه :

﴿قُلْ نُوْحًا اَبْرَاهِيْمَ اَمَّا لَكُم مَّا رَئِيْ فَعَسَىٰ اَنْ يَكُوْنَتْ رَءْيٰى فَعَسَىٰ اَنْ يَكُوْنَتْ رَءْيٰى فَعَسَىٰ اَنْ يَكُوْنَتْ رَءْيٰى اِنْ يَكُوْنَتْ رَءْيٰى فَعَسَىٰ اَنْ يَكُوْنَتْ رَءْيٰى اِنْ يَكُوْنَتْ رَءْيٰى اِنْ يَكُوْنَتْ رَءْيٰى﴾ [الكهف]

﴿وَلَوْ اَنْتُمْ فِى الْاَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ اَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ اُبْحُرٍ مَا نَسَدَتْ كَلِمَاتُ اللّٰهِ ..﴾ [الشعرا]

فكل اسم له سره ، وله عطاؤه ، وله إشراقه ، والأسماء كما ذكرت فى كتاب الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة ١٠

١- ٣ نأخذ منها : ﴿اللّٰهُ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ﴾ (١)

﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾ (٢)

٤- الرب : ﴿رَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾ (٣)

٥- الملك : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ﴾ (٤)

٦- المحيى : ﴿وَاللّٰهُ مُحِيْطٌ بِالْكَافِرِيْنَ﴾ (٥)

٧- القدير : ﴿اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ (٦)

٨- العليم : ﴿مَعْرُوْمُوْنَ مِنْ سَمٰوٰتٍ وَمِنْ اَرْضٍ يَخْلُقُ مَا يَشٰىءُ الْعَلِيْمُ﴾ (٧)

٩- الحكيم : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣٢) ﴿

[البقرة]

١٠- الثواب : ﴿ فَطَعْنَى آدَمَ مِنْ رِنْدِ كَلِمَاتِ قِسَابٍ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٧) ﴿

[البقرة]

١١- اليارى : ﴿ قَتَرُوا إِلَى مَارِيكُمْ .. ﴾ (٢٤) ﴿

[البقرة]

١٢- البصير : ﴿ .. وَاللَّهُ بَصِيرٌ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦) ﴿

[البقرة]

١٣- الولي : ﴿ .. وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) ﴿

[الشورى]

﴿ .. وَمَا لَكُمْ مِنْ ذُنُوبٍ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٌ ﴾ (١٧٧) ﴿

[البقرة]

١٤- النصير : ﴿ .. وَمَا لَكُمْ مِنْ ذُنُوبٍ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٌ ﴾ (١٧٧) ﴿

[البقرة]

١٥- الواسع : ﴿ .. إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ﴾ (١١٥) ﴿

[البقرة]

١٦- الديدع : ﴿ .. بِدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١١٥) ﴿

[البقرة]

١٧- السميع : ﴿ .. رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٤٧) ﴿

[البقرة]

١٨- العزيز : ﴿ .. وَبَعَثْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٢٩) ﴿

[البقرة]

﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ شُهَدَاءُ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ فَكَانَ اللَّهُ مُسْلِمِينَ﴾ (١٣١) ﴿[البقرة]

٢١ - الإله : ﴿... إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَعَزِيزٌ﴾ (١٣٢) ﴿[البقرة]

٢٢ - الشاكر : ﴿... وَمَن نَّظَرَ حِينًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨) ﴿[البقرة]

٢٣ - الغفور : ﴿... إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٦٣) ﴿[البقرة]

٢٤ - القريب : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (١٨٥) ﴿[البقرة]

٢٥ - الحليم : ﴿... وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢٠٠) ﴿[البقرة]

٢٦ - الخبير : ﴿... وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٠٣) ﴿[البقرة]

٢٧ - الحي : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢٥٥) ﴿[البقرة]

٢٨ - القيوم : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢٥٥) ﴿[البقرة]

٢٩ - العلى : ﴿... وَمِنَ الْعُلَى الْمُتَلَبِّمُ﴾ (٢٥٥) ﴿[البقرة]

٣٠ - العظيم : ﴿... وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢٥٥) ﴿[البقرة]

- ٤٢- الكبير : ﴿... إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (٣٤) ﴿[الناس]﴾
- ٤٣- النور : ﴿... إِنَّ الزَّيْفَ عِنْدَ اللَّهِ شَرٌّ مِنْ الْكَذِبِ﴾ (٢٥) ﴿[النور]﴾
- ٤٤- الحقيقت : ﴿... وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُتَعَبًا﴾ (٨٤) ﴿[النساء]﴾
- ٤٥- البرزاق : ﴿... وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٧٤) ﴿[المائدة]﴾
- ٤٦- المظاهر : ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَتَّخَذُ وَلَدًا فَأُطْرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (٩٤) ﴿[الأنعام]﴾
- ٤٧- الفاهر : ﴿وَهُوَ الْفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٦٨) ﴿[الأنعام]﴾
- ٤٨- العادر : ﴿... قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَتُحْزَنُونَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٧) ﴿[الأنعام]﴾
- ٤٩- الحق : ﴿ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ...﴾ (٦٦) ﴿[الأنعام]﴾
- ٥٠- عالم الغيب والشهادة : ﴿... عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٧٣) ﴿[الأنعام]﴾
- ٥١- الخالق : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ...﴾ (٥١) ﴿[الأنعام]﴾
- ٥٢- اللطيف : ﴿... لَا تُغْنِيهِ الْأَمْشَارُ وَهُوَ بِذِكِّ الْأَبْصَارِ...﴾ (٢٢) ﴿[الأنعام]﴾

۵۳- الحکم : ﴿وَإِنِّي أَخْبِرُ اللَّهَ أَتَعْنِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ
الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۝﴾ (١١٥) ﴿١﴾
[الأنعام]

۵۴- الصادق : ﴿... ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (١١٦) ﴿١﴾
[الأنعام]

۵۵- الولي : ﴿... فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْتَىٰ وَنِعَمَ
النَّبِيِّ﴾ (١١٧) ﴿١﴾
[الأنفال]

۵۶- القوي : ﴿... إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١١٨) ﴿١﴾
[الأنفال]

۵۷- الحفيظ : ﴿... إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ﴾ (١١٩) ﴿١﴾
[ميد]

۵۸- المحب : ﴿... فَاسْتَغْفِرُوا ذُنُوبَكُمْ نُوِيَّا إِلَيْهِمْ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ
رَّحِيمٌ﴾ (١٢٠) ﴿١﴾
[هود]

۵۹- المجيد : ﴿... رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاةُ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ
مُجِيدٌ﴾ (١٢١) ﴿١﴾
[هود]

۶۰- الودود : ﴿... إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (١٢٢) ﴿١﴾
[هود]

۶۱- المستعان : ﴿... فَصَبِّرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا
تَعْلَمُونَ﴾ (١٢٣) ﴿١﴾
[يوسف]

۶۲- الغالب : ﴿... وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ (١٢٤) ﴿١﴾
[يوسف]

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فِي الْقُرْآنِ

٦٣- الْقَهَّارُ : ﴿... أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ

الْقَهَّارُ (٦٣)﴾ [يوسف]

٦٤- الْحَافِظُ : ﴿... قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤)﴾ [

يوسف]

٦٥- الْمُبْتَلَى : ﴿... عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى (٦٥)﴾ [الرعد]

٦٦- الْوَالِي : ﴿... وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ

دُونِهِ مِنْ وَالٍ (٦٦)﴾ [الرعد]

٦٧- الشَّدِيدُ : ﴿... وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ

الْمِحَالِ (٦٧)﴾ [الرعد]

• نَظِيْفَةٌ •

هَذَا الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ذَكَرَ فِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ ٥ مِنْ أَسْرَارِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ أَنَّ
يُنْزَلُ هَذَا الْأَسْمَاءُ (الشَّدِيدُ) فِي آيَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ مِنَ السُّورَةِ الثَّلَاثَةِ
عَشْرَةَ مِنَ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنَ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ ، ذَلِكَ أَنَّ سَمَاءَ الْوَعْدِ
هِيَ السُّورَةُ الثَّلَاثَةُ عَشْرَةَ حَسَبِ التَّرْتِيبِ فِي الْمُصْحَفِ ٥

٦٨- الْوَارِثُ : ﴿... وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٦٨)﴾ [

الحجرات]

٦٩- الْخَلَّاقُ : ﴿... إِنَّا زَيْنَبُ خَيْرُ الْخَلَائِقِ الْفَعْلِمِ (٦٩)﴾ [الحجرات]

٧٠- الْكَفِيلُ : ﴿... وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا... (٧٠)﴾ [التحريم]

- ٧١- المتقندر: ﴿... وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (١٤) ﴿الكهف﴾
- ٧٢- الحفيظ: ﴿... قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ ذَنْبًا إِنَّهُ كَانَ مِنْ حَفِظًا﴾ (١٧) ﴿الحجر﴾
- ٧٣- الغفار: ﴿... وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٢٤) ﴿الأنعام﴾
- ٧٤- الهادي: ﴿... وَإِنَّ لِلَّهِ لِيَأْتِيَ الدَّبِيلَ أَهْلُوا إِلَى صَوَاطِئِ مُنْتَقِمِينَ﴾ (٥١) ﴿الحج﴾
- ٧٥- المبين: ﴿... وَبَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٤٥) ﴿التور﴾
- ٧٦- النور: ﴿... اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (٣٥) ﴿النور﴾
- ٧٧- الكريم: ﴿... وَمَن شَكَرْنَا نَمَّا بِشُكْرِ نَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَجِيمًا غَنِيًا﴾ (٤٠) ﴿الأنعام﴾
- ٧٨- المنعم: ﴿... وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرُوا بآيَاتِهِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ (٢٠) ﴿الزمر﴾
- ٧٩- الفتاح: ﴿... قَالَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَيُنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (١٦) ﴿الفاتحة﴾
- ٨٠- الشكور: ﴿... لِيُؤْتِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٠) ﴿فاطر﴾

٨١- الكافي: ﴿وَالَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾... (٣٥) ﴿﴾ [الزمر]

٨٢- المعاني: ﴿وَمَا ظَنُّوا أَنَّهُ يَفْعَلُ﴾... (٣٦) ﴿﴾ [الأنعام]

٨٣- رفيع الدرجات :

٨٤- ذو العرش : ﴿وَرَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (٣٧) ﴿﴾ [غافر]

٨٥- المحي : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّهُ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الْأَنْهَارَ لَمُخْبِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٨) ﴿﴾ [الحق]

٨٦- الرزاق : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَعَى الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٣٩) ﴿﴾ [الزمر]

٨٧- ذو القوة :

٨٨- المنين :

٨٩- الرزاق : ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُهُ إِنَّهُ خَبِيرٌ الرَّحِيمُ﴾ (٤٠) ﴿﴾ [الطور]

٩٠- الملك : ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (٤١) ﴿﴾ [القمر]

٩١- ذو الجلال والإكرام : ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٤٢) ﴿﴾ [الرحمن]

٩٢- الأولى :

٩٣ - الْآخِرُ ٩٤ - الظَّاهِرُ ٩٥ - الْبَاطِنُ
 ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْعَظِيمُ وَالْمَلِكُ وَالْقُدُّوسُ الْحَمْدُ لَكَ يَا حَمِيدٌ﴾ [١]
 [الْحَمْدُ]

٩٦ - السَّلَامُ ٩٧ - الْمُؤْمِنُ ٩٨ - الْمُهِمِّنُ
 ٩٩ - الْعَزِيزُ ١٠٠ - الْجَبَّارُ ١٠١ - الْمُتَكَبِّرُ
 ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ
 الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢]
 [الْحَمْدُ]

١٠٢ - الْمُصْطَفَى
 ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣]
 ١٠٣ - الْأَعْلَى : ﴿سُبْحَانَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [٤]
 ١٠٤ - الْأَكْرَمُ : ﴿يَا أَكْرَمُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [٥]
 ١٠٥ - الْأَحَدُ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [٦]
 ١٠٦ - الصَّمَدُ :

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (١) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
 أَحَدٌ (٢) [الْإِخْلَاصُ]

الاسماء الجسني في القرآن

هذه الأسماء الشريفة والعظيمة التي ذكرت بنعم القرآن ، وقال الرسول ﷺ في حكاية أن الملائكة قد رأت جبرائيل عليه السلام وهو يوحى إليهم ما ينزل من ربهم .
الآن أن الأسماء الحسنى المذكورة عدد وعرفها أهل الأسرار .

أما العدد المذكور في الحديث فهو لأهل الاختيار حسب المقدور والقدرة مع المتعوم ، وعند التجلي يكون المدد بغير عدد .

يقول الحق سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا
الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦٨) ﴿ الْأَعْرَافُ ﴾
ويقوله الحق : ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ .. ﴾ (١٦٩) ﴿ الْإِسْرَاءِ ﴾

ويقول جل جلاله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (٨) ﴿ طه ﴾

ويقول الحق : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَىٰ .. ﴾ (١٦٤) ﴿ الْحَبَر ﴾

والحسنى مؤنث الأحسن ، أى الله تعالى أحسن الأسماء ، وأجلها
وأعظمها وأتمرتها لأشرفها على معانى النفس ، بس والتعظيم
والتمجيد ، وهى أحسن المعانى وأشرفها ، وعلى صفات الجمال
والجلال لله رب العالمين

وقد سعى الله تعالى بها نفسه ، وأمر أن يدعى بها وببشرى ، ونهى
أن يدعى ربسعى بغيرها لما لم يرد فى الشروع إطلاقه عليه تعالى ،
مثل : يا أبيض الوجه ، يا مسخى ، يا غارف ، يا شجاع ، ونحو ذلك
فيعبر هذا إلحاداً فى أسمائه وهبلاً وانحرافاً فى حقيقته .

فمن أسمائه تعالى : المستحق بحقائقه شأخى قبل كل شئ ،
والباقى بعد كل شئ ، والقادر على كل شئ ، والعلیم بكل شئ ،
والواحد ليس كمثله شئ ..

ومنها : ما نستحسنه الألسن ، ونستقر معه القلوب ، كالغفور
والشكور والحليم والرحيم .

ومنها : ما يوجب النخلق بها ، كالغفور .

ومنها : ما يوجب مراقبة الأحوال كالسميع والبصير .

ومنها : ما يوجب الإحلال كالعظيم ، الحار ، المنكر ، والدعاء هو
استدعاء العبد لله العتابة واستمداده إياه طلباً للعتوث ، وهو صفة
العبودية لله الواحد ، ومظهر الاحتياج والافتقار إليه ، والاعتراض
بالبرائة من الخلق والقوة الإلهية العزيز الجبار .

وهو أنظم مقامات العبادة لله تعالى :

فقال تعالى : ﴿ اذْعُوا رَبَّكُمْ نَضِرُكُمْ وَخَفِيَّةٌ ۝ ﴾ [الأعراف]

وقال : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۝ ﴾ [الشعراء]

وقال رسول الله ﷺ : « ما من مومن منصف وجهه لله ، يسأله
مسألة إلا أعطاه الله إياها ، إما عجلها له في الدنيا ، وإما أخرها له في
الأخرة » وقال أيضاً ﷺ : « الدعاء مع العبادة » .

والدعاء في كل حال ووقت يحتاج إلى الإخلاص ، فهو الذي
يكسب السوء ، ويجيب المضطر ، ويدفع اليأس ، ويصح الخيرات .

وبشوق الحق سبحانه :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ذَا مَجْرُوايَ وَأَنُصِرُوايَ إِذَا نَادَىٰ أَعَاوِي وَنُصْرَتِي لِي الْوَدَّاعُونَ ﴾ [البقرة]

وَيَدْعُنِي نَعَالِي بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَبِاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ۖ ۞ ﴾ (١٨٠) [الأعراف]

والله مسميع الدعاء ، وقد ورد الدعاء في القرآن الكريم في غير موضع ، يقول الحق .

﴿ ... رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) [البقرة]

﴿ رَبَّنَا عَلَّمَنَا مَا نَشَاءُ وَأَلَمَّا أَتَيْنَا ذَا الْمَعْجَرِ ﴿٢٠٢﴾ لَمَّا كُنَّا مِنْهَا نَاغِبِينَ ﴿٢٠٣﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّأَحَدٍ مِّنَّا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٨٦) [البقرة]

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمْعَمْنَا مُنَادِيَ الْإِيمَانِ أَنِ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَلْزَامِ ﴾ (١٨٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِبْنَا يَوْمَ الْفِتْيَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (١٨٤) [آل عمران]

قائمة تزاوة الأسماء الحسنی

للأسماء الحسنی فوائد لا تحصى ، وأسرار لا تعد ، فقد قال النبي

ﷺ :

« من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وفرا ثلاث آيات من سورة الحشر (لأن هذه الآيات بها سنة عشر اسماً مع قوله تعالى له الأسماء الحسنى) وكل الله له سبعين ألف ملك تُصلُّه ن عليه حتى يموت ، وإذا مات في هذا اليوم مات شهيداً ، ومن قال حين يمسي كان بتلك المثلة * »

وهذه الآيات الثلاث هي :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴿

[الحشر]

كلمة «إلاه» تعني : «معبود» . وهي اسم مشتق من الفعل «ألاه»
بالفتح . فكل من اتخذ الناس معبوداً منذ القدم يصح أن يطلق عليه
اسم (إلاه) .

فمن الناس من اتخذ الشمس إلهاً . أي : معبوداً ، ومنهم من
اتخذ النار إلهاً ، ومنهم من اتخذ القمر إلهاً ، ومنهم من اتخذ البقر
إلهاً .

وكلمة (إلاه) قد تُطلق ويُراد بها معناه فقط . . أي : (معبود) كما
في قوله تعالى :

﴿لَقَالُوا لَا تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِثْلٍ خَفًى﴾ . (الأعراف)
وقوله تعالى :

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَيِّرُ رُسُوسَهُ﴾ .
(الأعراف)

وقوله تعالى :

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُشْرِكُونَ﴾ . (التوبة)

فالحق سبحانه وتعالى يؤكد في هذه الآيات أنه لا معبود إلا هو
تبارك وتعالى .

وعد تطلق كلمة (إلاه) ويُراد بها : الحق عز وجل ، كما في قوله
تعالى :

﴿أَجْعَلِ الْآلِيَةَ إِلَٰهَا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (٤) ﴿يَه﴾ [حي]

تعالى: (إلا) نى عا. الآية: - من . . . وردا . . . وفى نفس الوقت يراد بها: الحق عز وجل .

فإذا انتقلنا إلى لفظ الجلالة (الله) ، هل هو لفظ مشتق من الفعل (أله) أم غير مشتق؟

قيل: إنه اسم مشتق من نفس الفعل (أله) ، وأنه هو نفسه الاسم المسمى (إلا) ودخلت عليه الألف واللام وحذفت الهمزة للتخفيف ، وقيل: إنه غير مشتق ، وإنما أطلقه الله عز وجل للدلالة على ذاته العلية .

ولكننا نقول: إن لفظ الجلالة (الله) سواء أكان مشتقاً أم غير مشتق ، فإنه علم على واجب الوجود . . . أى: على الحق تبارك وتعالى بذاته وأسمائه وصفاته دون سواء من المعبودات الباطلة .

إن العلم إذاً أطلق وأمد به سائر معناته ، فإنه (أى: العلم) ينحل عن معناه الأصلي ويصبح علماً على أسمائه . . . كما إذا أطلقت على زنجية اسم (فمر) . . . فالقصر بالنسبة لجهة الزنجية قد انحل عن معناه الأصلي ، وصار علماً عليها .

ولفظ الجلالة (الله) ورد فى القرآن الكريم سورى ألفه ر . . . - - - - - مرة لم يرد خلالها هذا اللفظ إلا للدلالة على ذات الحق جل وعلا .

ولم يستخدم للدلالة على أى معبود آخر من المعبودات الباطلة مثل :
الشمس أو النور أو النار أو البئر أو عيسى بن مريم .

كما أن الله تبارك وتعالى لم يستخدم لفظ الجلالة كوصف من
الأوصاف مثل سائر الأسماء ، وإنما استخدمه ليدل عليه بذاته وأسمائه
الأخرى وصفاته دلالة علمية .

فإذا أراد أن يصف نفسه بوصف معين ، أو ينسب إلى نفسه فعلاً
معيناً ، أتى بلمط الجلالة (الله) لتعلم عليه ، ثم ألحقه بالوصف
أو الفعل الذى يريد . كما تقول أنت : (أحمد وفور مهذب) .

بقول الحق جل وعلا :

﴿ .. وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٤١) ﴾ [البقرة]

ويقول جل وعلا :

﴿ .. وَآلَهُ يَخْشَوْنَ بِرَحْمَتِهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٤٥) ﴾ [البقرة]

ويقول عز وجل :

﴿ .. فَيَكْتُبُكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٥٧) ﴾ [البقرة]

فلفظ الجلالة صار علماً على الذات الإلهية العلية . . علماً على
الحق - جل وعلا - ليدل عليه بذاته وأسمائه وصفاته دلالة علمية ،
ولا يستخدم للدلالة على غيره من المعبودات الباطلة . وهو الاسم
الاعظم الذى حوى جميع كمالات صفاته ، والذى ليس له غيره سمي
أى : شريك فى نفس الاسم .

والحق جل وعلا حين أنزل القرآن ، أنزله «مقروناً باسم الله سبحانه وتعالى» . ولذلك حينما نزل فينا نبأ نفس البداية التي أرادها الله تبارك وتعالى . . وهي أن نكون البداية باسم الله .

إن أول الكلمات التي نطق بها الوحي لمحمد ﷺ كانت :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ [العلق]

وهكذا كانت بداية نزول القرآن الكريم ليسا من ههنا من قى الكون عى باسم الله . . ونحن الآن نقرأ القرآن بادئين نفس البداية .

ولكن هل نحن «طالبون أن نبدأ ففط تلاوة القرآن باسم الله ؟» .
كلا . . إنا مطالبون أن نبدأ كل عمل باسم الله ؛ لأننا لا بد أن نحترم «مطاع الله في شئ» .

إنك حين تبدأ كل شئ باسم الله الرحمن الرحيم . . فإنك تجعل الله في جانبك بعينك .

ومن رحمة نياك وتعالى أنه علمنا أن نبدأ كل شئ باسمه تعالى ؛
لأن «الله» - كما قلنا - هو الاسم الجامع لكل صفات الكمالات . .
والفعل عادة يحتاج إلى صفات متعددة . .

فأنت حين تبدأ عملاً تحتاج إلى فطرة الله وإلى فية وإلى عونته وإلى رحمته . . علو أن الله سبحانه وتعالى لم يخبرنا بالاسم الجامع لكل الصفات لكأن علينا أن نجد الصفات التي نحتاج إليها ، كأن نقول باسم الله القوى ، وباسم الله الرزاق ، وباسم الله المحجب ، وباسم الله

القادر . وباسم الله النافع . . إلى غير ذلك من الأسماء والصفات التي نريد أن نُسَمِّعَ بها . . ولكن الله تبارك وتعالى يجعلنا نقول : «بسم الله الرحمن الرحيم» . . الاسم الجامع لكل هذه الصفات .

علمي أننا لا بد أن نقف هنا عند الذين لا يبدأون أعمالهم باسم الله . . وإشايير يبدون الجزاء المادي وحده .

إنسان غير مؤمن لا يبدأ عمله باسم الله ، وإنسان مؤمن يبدأ عمله كله وفي باله الله ، كلاهما يأخذ من الدنيا لأن الله رب الجميع ، له عطاء ربويّة لكل خلقه الذين استندعاهم للحياة ، ولكن الدنيا ليست هي الحياة الحقيقية للإنسان . . بل الحياة الحقيقية هي الآخرة . . الذي هي باله الدنيا وحدها يأخذ بقدر عطاء الله في الدنيا والآخرة . . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٢٠) ^{سجدة}

لأن المؤمن يحمده الله على نعمه في الدنيا . . ثم يحمده عندما ينتجبه من النار والعذاب ويدخله الجنة في الآخرة . . فله الحمد في الدنيا والآخرة .

ربه عز وجل الله عز وجل قال :

«كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبتر» .

وسمى أقطع أى : مقطوع الذئب أو الذيل . . أى : أنه عمل ناقص فيه شيء ضائع ؛ لأنك حين لا تبدأ العمل باسم الله قد يصيبك الغرور والطمع بأنك أنت الذى سخرت ما فى الكون لخدمتك وينفع لك .

وحين لا تبدأ العمل باسم الله . . قلبك لك عليه جزاء فى الآخرة ، فتكون قد أخذت عطاءه فى الدنيا ، وترت أو قطعت عطاءه فى الآخرة . . فإذا كنت تريد عطاء الدنيا والآخرة . . فأقبل على كل عمل باسم الله . . قبل أن تأكل قل : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ لأنه هو الذى خلق لك هذا الطعام ورزقك به . .

عندما ندخل الامتحان قل : بسم الله الرحمن الرحيم فيعينك على النجاح . .

عندما تدخل إلى بيتك قل : بسم الله ؛ لأنه هو الذى يَسِّرُ لك هذا البيت . .

عندما تتزوج قل : بسم الله لأنه هو الذى خلق هذه الزوجة وأباحها لك . .

فى كل عمل تفعله ابدأ باسم الله ؛ لأنها تمنحك من أى عمل يُغضب الله سبحانه ونعالى . . فانت لا تستطيع أن تبدأ عملاً بغضب الله بسم الله .

وكيف ينبغي على المسلم المؤمن أن يجعل لسانه وطياً بسم الله . . ينبغي عليه أيضاً أن يجعله وطياً بحمد الله عز وجل ؛ لأنه تبارك وتعالى

محمود لذاته ومحمود لصفاته ، ومحمود لشعته ، ومحمود لرحمته ،
ومحمود لمنهجه ، ومحمود لتضامته ، الله سبحانه محمود قبل أن يخلق
منه بحمده . ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل الشكر له في
كلمتين اثنتين هما : الحمد لله .

والعجيب أنك حين تشكر بشياً على جميل فعله تظل ساعات
وساعات تعد كلمات الشكر والثناء ، وتحذف وتضيف وتأخذ رأي
الناس حتى تصل إلى قصيدة أو خطاب مليء بالثناء والشكر . ولكن
الله سبحانه وتعالى - جلَّت قدرته وعظمته ونعمته التي لا تحصى -
علَّمنا أن نشكركه في كلمتين اثنتين هما : « الحمد لله » .

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه علَّمنا صيغة الحمد ، فلو أنه
تركها دون أن يحددها بكلمتين اثنتين لكأن من الصعب على البشر أن
يجدوا الصيغة المناسبة ليحمّدوا الله على هذا الكمال الإلهي . فسيهما
أوتي الناس من بلاغة وقدرة على التعبير ، فهم عاجزون عن أن يصلوا
إلى صيغة الحمد التي نلین بجلال المنعم . فكيف نحمد الله والمخل
عاجز من أن يدرك قدره ، أو يحصي نعمه أو يحيط برحمته ، ورسول
الله ﷺ أعلّنا صورة العجز البشري عن حمد كمال الألوهية ، فقال :
« لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

وكلمتا « الحمد لله » ، ساهى الله بهما بين المنى جديداً ، فلو أنه
ترك الحمد بلا تحديد ، لتفاوتت درجات الحمد . بين الناس بنجوات
قدراتهم على التعبير .

فهذا أسمى - لا يفهم ولا يكتب - لا يستطيع أن يجد الكلمات التي
 بها الله سبحانه وتعالى له تارة على العجب بسطع أن تأتي بسبغة
 الحمد بما أوتي من علم وبلاغة .

وهكذا اتفانرت درجات البشر في الحمد طبعاً لقدرة فهم في منازل
 الدنيا ، ولكن الحق تبارك وتعالى شاء عزله أن يسوي بين عباده جميعاً
 في صفة الحمد - لا يفرق بين أولي العباد من المؤمنين أن المحرم أن
 يقول : (الحمد لله) ليعطي الفرصة لكل عبده بحيث يسوى المتعلم
 وغير المتعلم في عطاء الحمد ، ومن أوتي البلاغة ومن لا يحسن
 الكلام ،

لذلك فإننا نحمد الله - سبحانه وتعالى - إلى ما أوتي من العلم ،
 ونحمد الله ، وليظل الله دائماً محمداً ، وبظل العبد دائماً حامداً ،

فالحمد سبحانه وتعالى قبل أن يخلقنا خلق لنا درجات الحمد من
 النعم ، فخلق لنا السموات والأرض ، وأوجد لنا الماء والهواء ،
 ووضع في الأرض أقدارنا إلى يوم القيامة .

وهذه نعمة يستحق الحمد عليها ؛ لأنه جل جلاله جعل النعمة تسبق
 الوجود الإنساني ، فعندما خلق الإنسان كانت النعمة موجودة
 تسبقه ، بل إن الله جل جلاله قبل أن يخلق آدم أباً البشر سبحانه الجنة
 النعم ، فما لا ينعم ولا يشكر ، فقد خلق فرحاً بما أكله
 وما يشربه وما بقيم حياته وما يتمتع به بوجوده وجاهزاً ومعدلاً قبل
 الخلق .

وحيثما نزل آدم وحواء إلى الأرض كانت النعمة قد سبقتهما ،
توجد ما يأتى ثلثه وما يغريانه ، وما يتيم جانيهما .

ولو أن النعمة لم تسبق الوجود الإنسانى وخلقت بعده لهلك
الإنسان وهو يتظر عجز النعمة .

بل إن العطاء الإلهى للإنسان يعطيه النعمة بمجرد أن يُخلق نعيم رحم
أمه ، فيجد رَحماً مستعداً لاستقباله وغلبه بكفيه طول مدة الحمل . .
فإذا خرج إلى الدنيا يضع الله فى صدره أمه لينأى بفرل وقت أن يجوع ،
ويعتق وقت أن يشبع ، وينهى تماماً عندما تنقرف فترة رضاعته . .
ويجد أباً وأماً يوفران له مقومات حياته حتى يستطيع أن يعمل تقببه . .
وكل هذا يحدث قبل أن يصل الإنسان إلى مرحلة التكليف ، وقبل أن
يستطيع أن يتنطق : الحمد لله .

وهكذا نرى أن النعمة تسبق المنعم عليه دائماً . فالإنسان حين
يقول : (الحمد لله) فلأن موجبات الحمد - وهى النعمة - موجودة فى
الكون قبل الوجود الإنسانى . والله سبحانه ونعالى خلق لنا فى هذا
الكون أشياء تعطينا الإنسان بغير قدوة منه وجوده نعيش له ، فالإنسان
عاجز عن أن يقدم لنفسه هذه النعم التى يقدمها الحق تبارك ونعالى له
بلا جهد .

فأنت تسمى تعطي الدفء وأخباة للأرض بلا مقابل وبلا فعل من
البشر

الليل

والمطر ينزل من السماء دون أن يكون لك جهد فيه أو قدرة على

إزالته .

والهواء موجود حولك في كل مكان تنفس منه دون جهد منك

ولا قدرة .

والأرض تعطبك النعم بمجرد أن تبذر فيها الحب ونسبه . . فالزروع

ببست بقدرة الله .

والليل والنهار يتعافيان حتى تستطيع أن تنام المريح ، وأن نسمي

لحياتك . . لا أنت أنت بضوء النهار ، ولا أنت الذي صنعت ظلمة

الليل ، ولكنك تأخذ الراحة في الليل والعمل في النهار بقدرة الله دون

أن تفعل شيئاً .

كل هذه الأشياء ، لم يخلقها الإنسان ، ولكنه وجدها في الكون

تعبه بلا مقابل ولا جهد منه !

ألا تستحق هذه النعم أن تقول : الحمد لله على نعمه تسخير الكون

خدمة الإنسان ؟

وآيات الله سبحانه وتعالى في كونه تستوجب الحمد . . فالحيات التي

ويها الله لنا ، والآيات التي أودعها في كونه ندلنا على أن لهذا الكون

خالقاً عظيماً . . فالكون مشمس وقمر ونجوم وأرض وكل ما فيه

مما يفوق قدرة الإنسان ، ولا يستطيع أحد أن يدعي لنفسه . فلا أحد

مهما بلغ علمه يستطيع أن يدعي أنه خلق الشمس ، أو أوجع

المجموع ، أو وضع الأرض ، أو وضع قسوانين الكون ، أو أعطى
خلقه المذرى ، أو خلق نفسه ، أو خلقه غيره .

هذه الآيات كلها أعطتنا الدليل على وجود قوة عظمى ، وهى التى
أوجدت وهى التى خلقت . . وهذه الآيات ليست سبأكة ، لنجعلنا فى
سكوتها نساهم ، بل هى متحركة لتلفتنا إلى خالق هذا الكون العظيم .

فالتسبيح يشهد على العجب من هذا الكون بما يمازى الخالق فى
المساء لنذكرنا بعظمة الخالق ونعاقب الليل والنهار يحدث أمامنا كل
يوم عثنا نلنفت ونفبت والمطر ينزل من السماء ليذكرنا بألوهية من
أنزله والزرع يخرج من الأرض يسقى بماء واحد ، ومع ذلك فى
كل نوع له لون له شكل وله مذاق وله رائحة ، وله تكوين يختلف عن
الأخر ، ويأنى إخصاد فيخفى الثمر والزرع ويأنى موسم الزراعة
فيعود من جديد .

كل شئ فى هذا الكون متحرك لبدكرنا إذا نسيت ، ويعلمنا أن هناك
خالقاً ، وتستطيع أن نمضى فى ذلك بلا نهاية ، فتعم الله لا تعد
ولا تُحصى وكل واحدة منها تدلنا على وجود الحق سبحانه
وعالى ، وتعطينا الدليل الإيماني على أن لهذا الكون خالفاً
مبدعاً وأنه لا أحد يستطيع أن يدعى أنه خلق الكون أو خلق شيئاً
مما فيه فالفضة محسومة لله .

(والحمد لله) لأنه وضع فى نفوسنا الإيمان القطرى ، ثم أبدى
بإيمان عظمى بآياته فى كونه .

كل شيء ، فلي هذا الكون يقتضى الحمد ، ومع ذلك فإن الإنسان
يمتدح الموجود ونسب السؤدد . فأنث حين ترى زهرة جميلة مثلاً ،
أو زهرة غايه فى الإبداع . أو أى خلق من خلق الله ، يهبط فى نفسك
الجمال تمتدح هذا الخلق . فثغول : ما أجمل هذه الزهرة ، أو هذه
الجوهرة ، أو هذا المخلوق !!

ولكن المخلوق الذى امتدحته ، لم يخط صفة الجمال لنفسه .
فالجوهرة لا تدخل لها أن تكون جميلة أو غير جميلة ، والجوهرة لا تدخل
لها فى عظمة خلقتها . وكل شيء فى هذا الكون لم يضع الجمال
لنفسه ، وإنما الذى وضع الجمال فيه هو الله سبحانه وتعالى ،
فلا نخلط وتمدح المخلوق ونسب الخلق . بل قل : الحمد لله الذى
أوجد فى الكون ما يذكرنا بعظمة الخالق وذوقه الخلق .

ومنهج الله سبحانه وتعالى يقتضى منا الحمد ، فهو تبارك وتعالى
أنزل منهجه ليرينا طريق الخير ، ويبعدنا عن طريق الشر .

فمنهج الله عز وجل الذى أنزله على رساله قد عرفنا أن الله تبارك
وتعالى هو الذى خلق لنا هذا الكون وخلقنا ، فمادة الخلق وعظمته
تدلنا على عظمة خالقه ، ولكنها لا تستطيع أن تقول لنا من هو ،
ولا ماذا يريد منا ، ولذلك أرسل الله رساله ، ليتفولوا : إنه الذى خلق
هذا الكون وخلقنا هو الله تبارك وتعالى ، وهذا يستوجب الحمد .

ومنهج الله يبين لنا ماذا يريد منا ، وكيف نعبده - جل وعلا - وهذا
يستوجب الحمد ، ومنهج الله جل جلاله أعطانا الطريق وشرع

لنا أسلوب حباننا شريفاً حقاً . فالحق ببارك وتعالى لا يفرق بين أحد منا . ولا يفضل أحداً على أحد إلا بالنسبة ، فكذلك خلقنا منسايون أمام عدله المطلق .

إذن : فشرية الحق . وقول الحق . وقضاء الحق هو من الله . أما شريعات الناس فلها هي ، تميز بعضها عن بعض . وتأخذ حقوق بعض لاحتياجها لآلة سرية . ولذلك نجد في كل منبر يصور شمساً بشرياً .

ولكن الله سبحانه وتعالى حين أنزل المنهج ففضى بالعدل بين الناس . وأعطى كل ذي حق حقه ، وعلمنا كيف نستقيم الحياة على الأرض عندما نكون بعدة عن الهوى البشري بخاضعة لعدل الله ، وهذا يستوجب الحمد .

والحق سبحانه وتعالى ، يستحق منا الحمد ؛ لأنه لا يأخذ منا ولكنه يعطينا . فالبشر في كل عصر يجاولون استغلال البشر . لأنهم يطمعون فيما بين أيديهم من ثروات وأموال . ولكن الله سبحانه وتعالى يعطينا ولا يأخذ منا ، عنه خزائن كل شيء مصداقاً لقوله جل جلاله :

﴿ وَإِنْ تَنْزَيْتُمْ إِلَّا غُلَامًا فَإِنَّ لَهُ آلًا يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَنَّى يُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ ﴾

[الحجر]

فالحمد سبحانه وتعالى دائم العطاء، الخلقه ، والخلق يأخذون دائماً من
 نعمه ، فالحمد لله دائماً ، ولا اله الا هو ، وهذا هو حرج
 الحمد . .

والله سبحانه وتعالى في عظمته يحب أن يطلب منه الإنسان ، وأن
 بدعوه ، وأن يستعين به ، وهذا يستوجب الحمد ، لأنه يغنينا الذل في
 الدنيا .

فأنت إن طلبت شيئاً من صاحب نفوذ ، فلا بد أن يحاد ذلك موعداً
 أو وقت الحديث ومدة المكالمة ، وقد يرضى بك فيقف ليهي اللقاء . .
 ولكن الله سبحانه وتعالى بايد مفتوح دائماً . . فأنت بين يديه عندما
 تريد ، فرفع يديك الى السماء ، تدعوه ، فنما تحب ، نسأل الله
 ما نلناه ، فيعطيك ما تريده إن كان خيراً لك . . ويمنع عنك ما فريده
 إن كان شراً لك .

والله سبحانه وتعالى يستوجب الحمد حينما يطلب منك أن
 تدعوه ، وأن نسأله فتقول :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
 سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَا خَرَابٍ ﴾ (١١) ﴿ عافى ﴾

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
 فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيَسْمَعُوا أَصْوَاتِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٢) ﴿ البقرة ﴾

والله سبحانه وتعالى يعرف ما في نفسك ، ولذلك فإنه يعطيك دون
أن تسأله . واقرأ الحديث القدسي :

يقول ربه العز :

« مَنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أَعْطَى السَّائِلِينَ » .

والله سبحانه وتعالى عطاؤه لا ينفد ، وخزائنه لا تنفد ، فكلما
سألته جيل بجيله كان لديه المزيد . وهذا ما كنته فإنه لا شيء عزيز على
الله سبحانه وتعالى ، إذا أراد أن يحققه لك . . واقرأ قول الشاعر :

حَسْبُ نَفْسِي عَزَائِي عَبْدُ
يُحْتَضِي بِي يَلَا مَوَاعِيدُ وَبُ
هُوَ فِي قُدْرَةِ الْأَعَزِّ وَلَكِنْ
أَنَا الْفِي مَتَى وَأَيْنَ أَحِبُّ

إذن : عطاء الله سبحانه وتعالى يستوجب الحمد . . ومنه العطاء
يستوجب الحمد . ووجود الله سبحانه وتعالى الواجب الوجود
يستوجب الحمد . . فالله سبحانه يستحق الحمد لذاته .

وعندما نقول : (الحمد لله) فنحن نعبر عن الانفعالات متعددة . .
وهي في مجموعها تحمل العبودية والثناء والشكر والعرفان . . وكثير
من الانفعالات التي تملأ النفس عندما نقول : (الحمد لله) كلها تجعل
الثناء المعجز عن الشكر لكمال الله وعطائه . . هذه الانفعالات تأتي
وتستقر في القلب . . ثم تفيض من الجوارح على الكون كله .

فالحمد ليس الفاظاً ترد باللسان ، ولكنها غمر أولاً على العنقل الذي
يعني معنى النعم . . ثم بعد ذلك تستقر في القلب فيتفعل بها . . وتستقل

إلى الجوارح فأقوم وأصلى لله شاكراً ، ويهتز جسدي كله ، وتفيض الدمعة من عيني ، وقد قل ما لا أله إلا الله ، إلى أن سراني .
ونحاول توضيح ذلك . .

هَبْ أُنْفِي فِي أَرْمَةِ أَوْ كَرْبِ أَوْ مَوْفَفٍ مَيُودِي إِلَى تَصْيِيحَةٍ . .
وجاءني من بفرج كربي فيعطيني مالاً أو يفتح لي طريقاً . . أول شيء
أنني سأعقل هذا الجميل ، لأقول . إله بسحق الشكر . . ثم يتزل هذا
المعنى إلى قلبي فيبهرز القلب إلى صانع هذا الجميل . . ثم تشغل
جوارحي لأترجم هذه العاطفة إلى عمل جميل يرضيه ، ثم أحدث
الناس عن جميله وكرمه فيسارعون إلى الانتماء إليه ، فتتسع دائرة
الحمد من ١٠ إلى ١٠٠ إلى ١٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ . . ثم يورث بصره ما يحده لي فمتسع
دائرة الشكر والحمد . الحمد لله . نعطينا المزيد من النعم مصداقاً لقوله
تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ ﴾ (٧) ﴿

وهكذا نعرف أن الشكر على النعمة يعطينا مزيداً من النعمة . .
فنشكر عليها فتعطينا المزيد ، وهكذا يظل الحمد دائماً والنعمة دائمة .

إنما لو اعتدنا حياتنا كلها . . نجد أن كل حركة فيها تفتقني
أحمد ، عندما ننام ويأخذ الله سبحانه وتعالى أرواحنا ، ثم يردها إلينا
عندما نستيقظ ، فإن هذا يوجب الحمد . ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿اللَّهُ يَتَوَلَّى الْإِنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ
الْيَافِقُ حَبْلَهَا الْعُشْرَةَ وَيُرْسِلُ الرُّسُلَ إِلَى أَجْلٍ لَّيْسَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا
لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر)

وبكذا فإن مجرد أن تستيقظ من النوم ، ليرد الله علينا أرواحنا
يستوجب الحمد ، فإذا قمنا من الفراش فالله سبحانه وتعالى هو الذي
أعطانا القدرة على الحركة والنهوض ، ولولا عطاؤه ما استطعنا أن
نقوم . . وهذا يستوجب الحمد .

فإذا تناولنا إفطارنا ، فالله هو الذي هباً لنا من فضله هذا الطعام ،
فإذا نزلنا إلى الطريق يشر الله لنا ما ينقلنا إلى مقر أعمالنا ، وإذا أخذنا
مع الناس فالله سبحانه وتعالى هو الذي أعطى الستة الف مرة على
النطق بـ «عنه الله لنا من قدره على التعبير والبيان ، وهذا يستوجب
الحمد .

وإذا شئنا إلى يومنا «نور روحه» فالله سبحانه وتعالى هو الذي
بأولادنا ، وهذا يستوجب الحمد .

إذن : فكل حركة حياة في الدنيا من الإنسان تستوجب الحمد ،
ولهذا لا بد أن يكون الإنسان حامداً دائماً ، بل إن الإنسان يجب أن
يحمد الله على أي مكره أصابه : لأن الشيء الذي يعتبره ترواً يكون
عين الخير ، فالله تعالى يقول :

﴿... فَعَسَىٰ أَنْ تَكُونُوا شِيبًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا﴾ (١٦)

[الباء]

إن من البشور من إذا تحدثت عنه قدر ما استطعت لن توفيه حقه
ويعرف له قدره كأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ، فماذا إذا
كان الحديث عن الله جل وعلا ؟

سوف يتحدث المتحدثون عن الحق ببارك وتعالى حتى تقوم
البيعة ، ومع ذلك فسوف يَظْلُونَ في إطار قوله تعالى :

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢١)

[الحج]

وقوله تعالى :

﴿رَبِّعَا قَدْرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٢)